إسماعيل صبري

محاضرة ادبية فى حياته وشعره القيت
بالجامعة المصرية ، مذيلة بأجود
قصائده ومقاطيعه

بقلم

محمد صبري

سنة ١٣٤١ هـ — ١٩٢٣ م

مطبعة الشباب لصاحبها محمد عبد العزيز الصدر

إسماعيل صبري

حياته وشعره

بقلم

محمد صبري

خريج السربون

سنة ١٩٢٣ م - ١٣٤١ هـ

مطبعة الشباب لصاحبها محمود عبد العزيز الصدر

اسماعيل صبرى

بالامس دفناك يااسماعيل وودعنا صافي العيش فيما ودعنا ، ولكنى مازلت الى الساعة يعروني الذهول لفقدك ولا أكاد أصدق ما رأته عيني لما أودعوك الرمس وسووا عليك !

ولقد صدق القائل « شيئان لا يمكن للانسان ان يحدق فيهما ببصره . الشمس والموت » ولكننى أعجب لموتك ، ولو لم تمت بعلة لسألت باى علة ، وأعلم علم اليقين ان الموت قد حصد الملايين من بنى الانسان وجندلهم وبدل الديار ديارا ولكننى لا أكاد أصدق انك كنت أمس ، حين أسلموك الى القبر ، تحت الارض ، وكنت عليها ، وان شبرا واحدا من التراب حال بيننا وبينك ، فما أبعد شقتك ، وما أشد وحشتنا !

وما انس لا انس تلك الشجرات التى صادفناها في طريق

* كتب هذا المقال يوم تشييع جنازة الفقيد ونشر بالعدد المؤرخ ٢٢ مارس من جريدة « السياسة »

جنازتك وكانت تنثر علينا ظلالا ليتها كانت تقينا لفحات الحياة ولذعات الجوي ، وما انس لا انس ذلك الرجل الذي أقبل نحوي ، ونحن وقوف على حافة القبر ، وفي يده كسرة من فص خاتم ، اسماعيل وهو يقول « تلك ذكري » ، ولكن من ذا الذي يحصي الذكريات التي تركتها في قلوب الباكين والباكيات عليك! لقد كان في كل حركة منك وكل سكنة الف ذكري بل الف حياة ، ففي ذمة الله يا اسماعيل

أعرف صبري من ثلاثة عشر عاما وكنت أغشى مجلسه كثيراً وأتردد عليه ، وكانت بيننا صلة الابن بالاب البار والتلميذ بأستاذه ، وكان يفيض علينا أدبا وفضلا ومكارم أخلاق، وكان حلو السمر عذب الحديث

ما كنت أدري أطعم عافيتي أعذب أم طعم ذلك السمر

ولعل السر في ذلك هو أن صبري كان في حياته ، كما كان في شعره ، فنانا ، وكم مرة استرعي نظره في الطريق منظر رائع من تلك المناظر الدقيقة التي لا يلتفت اليها احد فوقف واستوقف يمتع منها ناظريه ، حتى ان المرء ليتساءل أيهما كان أشعر الرجل في حياته أم الشاعر في شعره

كان صبري باشا يحب النور والجمال وكان يحب من اجلهما

الحياة ويقف منها موقف المتعبد ، وكان كثيرا ما يذكر الموت ويخشاه ، لاجبنا ولا فرقا ، بل حبا فى الحياة والنور والجمال، ولقد بلغ من كراهيته للموت أن أصبح يتمناه فقال :

يا موت خذ ما أبقت الا — يام والساعات منى
بيني وبينك خطوة — ان تخطها فرجت عني

ولقد نغص عليه داء القلب آخر سني حياته وكان يتعسر عليه الفهم وهو يقرأ كتابا أو صحيفة سيارة،ويتعب من القراءة اذا أطال ، ورغما من ذلك فقد كنت أرى له أحيانا وهو يحدثنا عن الحركة الوطنية ورجالها حكما كالبرق الخاطف من ذكائه يلوح ثم ينطفىء ،

أما شعر صبرى فهو كحياته سمر المسافر ، وأنس المقيم ، وكما كان في حياته يمل سماع الموسيقى طويلا كذلك كان في شعره يكره القصائد الطوال وينظم المقاطيع الرائعة والبيت والبيتين ، وهو فنان يفضل نحت الدمية الجميلة على تشييد هرم جليل

ومن منا لا يذكر قوله مخاطبا القلب :

سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا — حمل الصبابة فاخفق وحدك الا نا

وقوله في ساعة الوداع :

ساعة البين قطعة أنت قدت — للمحبين من عذاب السعير

وقوله في لقاء الحبيب

ولما التقينا قرب الشوق جهده   شجيين فاضا لوعة
كأن صديقا في خلال صديقه   تسرب أثناء العناق

وقوله في أشجار الجزيرة التي قطعت ابان الحرب

عار عليك وهذا الظل منتشر   فتك الهجير بجسمي في نواحيك
فمن معيري جناحي طائر غرد   كي أقطع العمر شدوا في أعاليك

وقوله :

يا آسي الحي هل فتشت في كبدي   وهل تبينت داء في زواياها
أواه من حرق أودت بمعظمها   ولم تزل تتمشى في بقاياها
يا شوق رفقا بأضلاع عصفت بها   فالقلب يخفق ذعرا في حناياها

وقوله :

إذا ما صديق عقني بعداوة   وفوقت يوما في مقاتله سهمي
تعرض طيف الود بيني وبينه   فكسر سهمي فانثنيت ولم ارم

تلك أبيات سارت مسير الشمس في كل بلدة وناد ، وقد وضع صبري باشا « اغاني » كثيرة هي أرقى مانظم من نوعها، وهو في مجموعه شاعر نسيج وحده انفرد بين الشعراء القدماء والمحدثين بطراز من الشعر المسمى Lyrique وهو شعر يطير بجناحين في فضاء الطبيعة والخيال ويسمو بالعاطفة والوجدان الي أبعد غاية ،

وكانوا يتغنون به قديما

ولقد سألته مرة أيهما يفضل الشعر العربي أم الشعر الافرنجي فقال قد يكون الشعر الافرنجي أغنى من الشعر العربي ولكن العربي فاق الافرنجي بالبيت والبيتين

وكان يفضل البحترى على جميع الشعراء وهذا يدل على حاسته الفنية فان أسلوب البحترى أنقى الاساليب غير مدافع، وأكثرها دقة وطلاوة

هذه كلمة صغيرة نقولها اليوم عن الفقيد الراحل الذى كان شعره وحياته مؤتلفين ائتلاف الزهر والخضرة فى الروض النضير

فقدناك يا اسماعيل فى أواخر العمر حين حال بيننا وبين لقائك الداء، وفقدناك أمس ففجعنا فيك حيا وميتا

رحمة الله عليك يا اسماعيل، والهم الله مصر العزاء على أبر ذويها

صبری فی صباه

لكل أرض أطيار تغرد لها وحدها بين جداولها وغدرانها وآثراها وسمائها ، وعشبها وأيكها ، ولكل جيل شعراء يحملون لواءه بين شبابه وشيبه ويسيرون بهم الى الغايات فى أقطار الكمال

ولقد كان البارودي يحمل اللواء فى الوقت الذى كان صبرى فيه يتعلم الرمايه . درج صبرى وشب فى أيام اسماعيل وكان يميل بفطرته الى الشعر والأدب وقد وجد فى بيئته وهو تلميذ مايساعده على تعاطى صناعة الشعر فكان من هذه الوجهة أسعد حظا من البارودى (١)

(١) ولد المرحوم اسماعيل باشا صبرى فى ١٦ فبراير سنة ١٨٥٤ وتوفى فى الساعة ونصف صباحا من ٢١ مارس سنه ١٩٢٣ بالغا من العمر ٦٩ سنة وشهراً ويومين . وكان دخوله فى المدرسة فى ٢١ جماد آخر سنة ١٢٨٣ هـ وخروجه من مدرسة الادارة بعد المتدئان والتجهيز به فى ٢٦ مايو سنة ١٨٧٣ أو ١١ شوال سنة ١٢٩١ أي فى الثامنة عشر من

في ذلك العصر بدأت فى البلاد حركة أدبية مباركة محورها مجلة « روضة المدارس المصرية » التى أنشئت فى ١٥ محرم سنة ١٢٨٧ هـ وكانت « تظهر فى الاسبوعين مرة واحدة » تحت ادارة رفاعه بك أولا ، ثم تولى شؤونها « ناظر قلم الروضة ومطبوعات المعارف على بك فهمى نجل رفاعـه بك » وكان آخر ظهورها فى سنة ١٢٩٤ هـ (السنة الثامنة)

كانت تصدر هذه المجلة خصيصا للمـدارس ولكنها كانت قبل « الوقائع المصرية » الصحيفه الادبية الوحيـدة التى تتبارى

وعمره . ارسل فى ١٧ مايو من السنة عينها تلميـذ بالارسالة المصرية بفرنسا حيث حصل فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٧٦ على شهادة البكالوريا فى الحقوق من كلية ايكس ، وعلى الليساس فى ١٣ ابريل سنة ١٧٧٨ ثم عين مساعد النيابة العمومية لدى المحاكم المختلطة . وكيلا لها بالمنصورة فى ١٧ فبراير سـنة ١٨٨٣ . ووكيلا لمحـكمة طنطا الابتدائية الاهلية فى ٣٠ ديسمبر سنة ٨٣ ، ورئيسا لمحـكمة بنها الابتدائية الاهلية فى سنة ٨٥ ، ورئيسا لمحـكمة اسكندرية الاهليه فى ٢٣ يونيه سنة ١٨٨٦ . وقاضيا بمحكمة الاستئناف الاهليـة بمصر فى ٢٩ نوفمبر سـنة ١٨٩١ ، ونائبا عموميا من الحضرة الخديوية امام المحاكم المذكورة فى ٢١ ابريل سنة ١٨٩٥ . ومحافظا لثغر الاسكندرية فى ٧ مايو سنة ١٨٩٦ . ووكيلا لنظاره الحقانية فى ٣ نوفمبر سـنة ١٨٩٩ . واستقال الخدمة ليلوغه المرتب الكامل لوظيفته في ٢٨ فبراير سـنة ١٩٠٧

فيها أعلام الطلبة الناشئين جنبا لجنب مع أقلام فحول هذا العصر أمثال رفاعة بك، والشيخ حسين المرصفي أستاذ البارودي والمدرس بدار العلوم الخديوية الذي كان ينشر في هذه المجلة دروساً في الأدب، وصالح مجدي، وعبد الله فكري، ومحمد قدري، والشيخ حسين والي، واسماعيل الفلكي وغيرهم فكان الشبان يجدون خير منشط لهم في هذه المجلة التي كانت تنشر شعرهم وكانت لهم في الوقت نفسه أستاذاً يحتذون على مثاله

وقد نشرت « روضة المدارس » في عامها الاول في عدد غاية شوال سنة ١٢٨٧ هـ سنة ١٨٧ م قصيدة «تهنئة لعيد الاكبر لحضرة الخديوى الاعظم أدام الله علاه بقلم اسماعيل صبرى أفندى» وكان عمره وقتئذ ستة عشر عاما

سفرت فلاح لنا هلال سعود ونما الغرام بقلبي المعمود
وجنت على العشاق روض محاسن فسقى الحياء شقائق التوريد
ورنت باحور طرفها وتبسمت فبدا ضياء اللؤلؤ المنضود
ياربة الطرف الكحيل تعطفي وعلى محبك بالمودة جودي
جودي ولو بالطيف في سنة الكرى وصلي برغم مفند وحسود
قسما بما أرضيك في صدق الوفا ماحلت عنك بسلوة وصدود

ومنها :

والي متى ذاالصدعن مضنى الهوى عودى ليورق باتتو اصل عودى

واستأنفى موصول عائد أنسنا فالقرب عيدى والبعاد وعيدى

دع ياعذول ملامتى فى غادة هيفـاء قد فاقت جميع الغيـد

عربيـة لو واجهت بدر الدجى يوما لقال البدر تم سـعودى

والله لولا الله بارىء حسـنها لجمالها الزاهى جعلت سـجودى

قسما بنور جبينها وبخـالهـا وسـوادشعر واحمرار خـدود

وبقوس حاجبها وسهم لحاظها وبخصرها وقوامهـا والجيـد

ليطيب لى فى حبها ذلى كما فى مدح اسماعيل لذ نشيدى

ومنها :

سمـح تراه اذا حلات بحيـه ابدا يحن الى خصـال الجـود

يبدو صبرى الكبير من هذا البيت كما يبدو قرن الشمس من خلل الغمام وقد بدأت تتفتق له المعـانى الغريبة فيجتنيها ، وتتهادى امامه الالفاظ العذبة فيقتنصها ، وهذه لفظة « حي » ستتنقل فى شعره من بيت الى بيت تنقل الاقمار فى منازلها

ومنها مخاطبا « آل مصر » :

هيا اجتنوا ثمر العلي من روضه وتفيأوا فى ظـله الممـدود

هذا البيت يبين لنا عن منتجع خيانه ناشئا ، وقوله « يا آل

مصر . » يذكرنا قوله « ياآل ودى عودوا ... » والقصيدة فى مجموعها تقليد لكنه يشف عن شخصية فى طور التكوين كالطائر الصغير الذى يحمل على الجناح مرة ويذب اخرى

ونشر قصيدة اخرى فى ربيع الآخر سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) مطلعها

اغرتك الغراء أم طلعة البدر   وقامتك الهيفاء أم عادل السمر

ونشرت « روضة المدارس المصرية » في يوم السبت ١٥ الحجة سنة ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) :

« تهنئة للحضرة الخديويه بعيد الاضحى من نظم اسماعيل افندى صبري من تلامذة مدرسة الادارة والالسن »

لا والهوي العذرى والوجد   عذل عذولى فيك لايجدى
انى مع الصد وطول الجفا   باق على الميثاق والعهد
ياعاذلى اقصر وكن عاذري   ولا تطل لومى على سهدي
فشعره مهما تخيلته   أظل ابكى في الدجى وحدي
افديه من حلو مليح البها   تاه على الاغصان بالقد
نشوان من خمر الكرى لحظه   في قتلتى ذاق على الحد
ماس دلالا ورنا قاتلا   بيض الظبي والسمر من جندى
وقد قلبي واننى معجبا   وقال لى كيف ترى قدي

وقال للورد أما تستحي … منى اذا فتحت في خدي
تغزلي فيه ومدحي من … رقى الى العلياء في المهد
من مثل ان عا آراؤه … باقبسة تهدي الى ارشد

لقد عرتني هزة يوم وصلت الى قوله « تاه على الأغصان بلقد » والى هذا الشعر الآخر « وقل للورد اما تستحي » لان كليهما ذكرني صبرى الكبير . وانها لهزة كالتي تعرو الانسان حين يلقى رفيق صباه بعد طول بين واغتراب فيحدق الى وجهه ويتفرس في ملامحه حتى يعرفه لأيا بعد توهم

ويظهر أن صبرى بدأ من ذلك الوقت يحتل بفطنته وذكائه مكانة في الادب تسترعى الانظار فقد نشرت «روضة المدارس» فى غرة شوال سنة ١٢٩١ هـ ١٨٧٣ م قصيدة اشارت اليها فى الفهرست بقولها « تهنئه عيديه من نظم حضرة اسماعيل صبرى افندى احد نجباء الارسالية المصرية المقيمة بفرانسا لتعلم العلوم الادارية » ، ومهدت لها فى الصحيفة التى نشرت فيها قولها : «قصيدة للمتفنن فى فنون الادب حضرة اسماعيل صبرى افندى» وهذا نص القسم الغزلي منها :

كلا مكما ان كان مثل سهام … فقلبي كحصن لا يلين لرامي
اذا رمتما قتلي بغير لواحظ … دعاني فدون القصد طول صدام

وأن رمتما لي بالملام سلامة ارفقكما يرضى صيال حسام
بروحي الذي لولا اغار من الصبا عليه لما اخرت عنه سلامى
وسقيا لدهر بالاماني محجل ادرنا به للاس غرة جام
فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقى لى خمار غرام
الام اقاسي ما اقاسي من الجوى ومن معشرها مو أشترك هيامى
وحتام يبدو من احب لناظرى ودون حصول القرب الف محام
لعمرك ذا ظلم الحسين بعينه ارى الماء لكن لا يبل اوامي
ايا قلب كم تقوى لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام
وكم يافتى تفنى الزمان تغزلا ومدح الخديوى فوق كل كلام

الا تحس معى أن فى هذه الابيات اثرا من آثار الحنين الذى يساعد على نضوج الشاعرية وان كثرة المران جعلت شاعرنا يصيب الهدف فى هذا البيت :

فيازمنا ماخلته غير سكرة مضيك ابقي لى خمار غرام

وفى هذا البيت الآخر

اياقلب كم تقوي لحمل الذى ارى ويا جفن كم تجفو لذيذ منام

هذا ما وقفنا عليه من نشأة صبري والذي يعنينا من كل ذلك هو انه كان يقول شعرا يشف عن سلامة الذوق وصفاء النزعة ،وقد نشرت (الوقائع) فى ٢٩ يونيه سنة ١٨٩١ م ١٣٠٨ هـ

قصيدة « لاسماعيل بك صبرى رئيس محكمة الاسكندرية »
يهنىء بها الخديوى توفيق بعيد الجلوس مطلعها

عش للعلى مولى وذخرا واسطع بأفق السعد بدرا

ومما قاله فيها

هذا جلوسك عيده ملأ الملا بشرا وبشرى
يوم بطالع يمنه وجه الزمان غدا اغرا
البسته مننا تهز معاطف الايام كبرا
واياب عباس كساه جلاببا للحسن اخرى
حنت اليه تشوقا مصر فعاد يؤم مصرا

وظهرت له حوالى هذه السنة قصيدة اخرى لم اعثر عليها ولكنى اذكر منها اياتها الأولى انشدنيها الاديب الكاتب محمد بك ابراهيم هلال :

لم يدران ملامه اغراكا اذ لج فى بهتانه ونهاكا
ياحبذا عذل العذول لو انه داواك من ألم الهوى فشفاكا
قف بالديار وحى ربعا دارسا لو يستطيع اجابة حياكا
وانثر دموعك فى ثراء صبابة على البكاء يزيل بعض جواكا
انري تنال من البخيله نظرة تاسو جراحك او تبل صداكا
مهلا ابا العباس فى طرق العلا واستبق منها فضلة لسواكا

هل فى السماء فضيلة لم تحوها تبغى لأجل نوالهـا الافلاكا

هذا الشعر يبين عن بطء نضوج صبري الذى بلغ ٣٧ عاما ولكنك تراه يقلد البحترى ويجرى فى غباره فى حين انالبارودى جود في صباه ونضج قبل هذه السن ، وكان « احمد افندى شوقى احـد موظفى السـكرتارية » في ذلك العهد ينشر شعرا في « الوقائع المصرية » قد يفضل هذا الشعر . لااظن ان الامر فى ذلك يرجع الى المحفوظ الذى يستمد منه بعض الشعراء قوة السبك فيسترون بها ضعف «النفس» الشعرى في أوائل الشباب أو أواخر الـكهولة ، أو يرجع الي الذوق الذى يقولون ان نضوجه يحتاج الى مران طويل . واعتقد ان الامر يتوقف من جهة على الاستعداد الفطرى ، ومن جهة اخري على المؤثرات الخارجية في الحياة ،وهذه عوامل قديجهلها الشعراءانفسهم أحيانا.

ويخيل الى ان صبرى في هـذه الشقة من العمر كان يفتح كتاب الوجود ويتلمس فيـه الطريقة البكر التى لم يفترعها قبله شاعر ولـكنهلم يهتد اليها الا بعد ان حال لون النهار وكان مساء. فجاء شعره كالشفق المذهب يلمع نوره فى أفق الحياة عند الغروب

صبري فى كهولته

١

سلامة الذوق

يجدر بنا قبل التكلم عن شعر صبري ان نقول ان صبرى لم يلقب «بشيخ الشعراء» الا لانه جمع بين مزايا ثلاث : فضل السبق فى السن ، وفضل السبق فى قول الشعر والتبريز فيه ، وسلامة الذوق فى نقد الشعر

واذا كان لشعر صبري وأغانيه أثر واضح فى تهذيب الادب العصرى لغة وشعرا فقد كان لذوقه النقاد أثر لا عيب فيه الا أختفاؤه عن أعين الجهال اختفاء الجدول العذب فى الملتف الغاب

ترعرع صبرى وهو تلميذ شاب فى وقت ارتقى فيه الذوق الادبي وحسبنا ان نقول ان البارودي كان فى ذلك العهد قدجود في الشعر وان الشيخ حسين المرصفي أحد ائمة النهضة الادبية فى

مصر كان ينشر فصولا فى الادب مازالت منهلا صافيا يعل منه طلاب الادب الى اليوم . ويظهر ان صبرى تمشق شعر البحترى صغيرا فجاء نظمه فى صباه نقى الديباجة حسن النسق يشف عن رقة فى الطبع والاحساس والذوق

اذا أضفنا الى ذلك أنه اتم تعليمه فى أوروبا ودرس لغة الافرنج وادبهم وان العناصر الاولى التي تألف منها ذوقه قبل سفره كانت سليمة لا تشوبها شائبة ادركنا كيف أمتاز صبرى على أهل عصره بذوقه وكان عمدة الشعراء والادباء يهتدون برأيه

كانوا جميعا يؤمون داره وكانت داره تذكرنا الاندية الادبية فى القرن السابع عشر في فرنساء تلك الاندية التى يرجع اليها الفضل فى تهذيب اللغة الفرنسية وتجنب الكلمات الحوشية النافرة لان السيدات كن فيها الآمرات الناهيات يحاسبن على كل لفظة ويتلطفن فى الخطاب .

اليس شوقى هو القائل :

أيام امرح في غبارك ناشئا نهج المهار على غبار خصاف

اتعلم الغايات كيف ترام فى مضمار فضل أو مجال قواف

ومطران :

أى صاحبى لقد قضى أستاذنا البر الحبيب

فعرا قلادتنـا -- وكـا نت زينة الدنيـا ـ شـحوب

وحافظ :

لقد كنت أغشـاه فى داره وناديه فيهـا زهى واز دهر
وأعرض شعرى عـلى مسمع لطيف يحس نبو الوتر

ولقد صدق الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فيما كتبه([1]) .
« ولم يكن فى مصر ممن يحسن ذوق البيان ويميز أقدار الالفاظ بعضها من بعض والوان دلالتها كالبـارودى وصـبري وابراهيم المويلحى والشيخ محمد عبده رحمهم الله جميعا . والبارودى يذوق بالسليقة وصبرى بالعاطفة والمويلحى بالظرف و الشيخ بالبصيرة النفاذة . وذلك شيء ركبه الله فى طبيعة صبرى ولم يحصله بالدرس أكثر مما حصله بالحس ومن أجله كان يفضل البحترى على غيره »

ومما اذكره انني عرضت عليه مرة قصيدة كنت نظمتها فى العام الهجرى ونشرتها جريدة المؤيد سنة ١٩١٢ فاستحسن منها هذين البيتين :

مضى العام مذموم الفعال مشيعا بانة محزون ودمعة مشفق
فلا الغرب فى ساح اليقين بمهتد ولا الشرق من رق الاسار بمعتق

ثم قال لي « اولى بك ان تنظم خمسة عشر بيتا من هذا الطراز

(١) المقتطف فى مايو سنة ١٩٢٣

بدلا من اربعين ـ » ومن ذلك يتبين حب الرجل للاتقان ومحض النصيحة للناشئين

وكان كثير الاعجاب بشوقي . ويقول «شوقي ينظم، وحافظ يبني، ومطران يبتدع»، ولما قال مطران قصيدته الميمية في حرب طرابلس طرب وكاد يجن بها جنونا وكان ينشد منها هذا البيت مرارا .

يقول للعلم الخفـاق في يده   فتى من الارض ماتختار ياعلم

وقابل مطران بعد ذلك فقال له «امدا اسكرتني ـ أنك فت الشعراء بستمائة عام »

ولقـد كان صـبري يطالع قليلا كل مساء في دواوين شعراء الافرنج وكان كلما طالع قصيدة عربية أو افرنجية اسـتكرم ثم قطف . قرأت له ذات يوم قصيدة عينية للبحتري فاعجب ايمـا أعجاب بقوله :

لو ان أنواء السحاب تطيعني   لشفى الربيع غليل تلك الأربع

ما احسن الايام لولا أنهـا   ياصاحبي اذا مضت لم ترجع

ومما كان يطرب له من شعر البحتري قوله :

وقفـة بالعقيق اطرح ثقلا   من دموعي بوقفة في العقيق

وقوله في الفراق :

ولقد تأملت الفراق فلم أجد يوم الفراق على امرىء بطويل
قصرت مسافته علي متزود منه لدهر صبابة وعويل

وقوله فى مرثية ابي سعيد :

فليهنأ الارواء بعدك انهم هدأوا بأطراف الدروب وناموا
امنوا وما امنوا الردى حتى انطوى فى الترب ذاك الكر والاقدام

وقوله :

وبود العدو لو تضعف الجيـ ـش عليهم وتصرف الآراء

وكان يعجب بقول الاخر.

يا ام عمرو جزاك الله مغفرة ردى على فؤادى مثلما كانا
لا بارك الله فى الدنيا اذا افترقت أسباب دنياك من أسباب دنيانا

وقول من قال .

لا يهنىء الناس ما يرعون من كلأ وما يسوقون من أهل ومن مال
حسب الخليلين نأى الارض بينهما هذا عليها وهذا تحتها بالى

وقول ابن خفاجة:

يقابلنا الصباح ببطن حزوى فينكرنا ويعرفنا الظلام
فياظل الشباب وكنت تندى على افياء سرحتك السلام

وقول الآخر

هات يابرق قل حديثك عن نجـ ـد فحيا الاله عنى نجدا

قل وان كان ما تحدث زورا　　فلقد تبرد الا كاذيب وجدا

وكان اسماعيل رحمة الله عليه فى جميع حركاته وسكناته مثالا عاليا للذوق يتانق فيها من غير كلفة وتصنع كما يتانق الربيع فى الباس الارض حلة عروس

ولا ريب ان الذوق من أكبر عوامل النهضة الادبية واللغوية والاجتماعية سيما فى طور الانتقال ، وقد كان صبرى ذواقا لا يدانيه فى فن الذوق مدانى

على ان ذوق صبرى الذي زاد صقلا ورونقا مع طول المران يتجلى فى شعر كهولته . وهذا شعر خالد قد ذاع الكثير منه على كل لسان ، ومن تأمل فيه رأى دقة الصنع وصفاء الطبع وسمو الخيال

٢

شعر الشهوات

بدأ شعر صبرى ينضج فى كهولته وقت ان كان البارودى فى منفاه وكان شوقى فى صباه يجرى على الاثر « جرى المهار على غبار خصاف » ، وقد نظم شوقى سنة ١٨٩١ م قصيدة فى مدح المغفور له توفيق باشا مطلعها

مضنى وليس به حراك ... لكن يخف اذا رآك

جاء فيها:

ما همت فى روض الحمى ... الا واسكرنى شذاك

والقلب مخفوض الجنا ... ح يهيم فيه على جناك

وقد جاراه صبرى بقصيدة مطلعها:

وجد يؤججه جفاك ... واظى تسعره نواك

ولكننى لم اعثر على هذه القصيدة ويقال انها من شعره

الجيد ولعلها أول أثر من آثار النضوج الشعرى عند اسماعيل

ومما يثبت نضوجه فى هذه الآونة قصيدة اخرى نشرتها له « الوقائع » فى ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٣ هنأ بها الخديوى عباسا بعيد الفطر . وكان وءتئذ « اسماعيل بك صبرى وكيل محكمة الاستئناف الاهلية » . وهذا نص القصيدة .

بعلاك يختال الزمان تبخترا ... وبقدرك الاسمى يتيه تكبرا
ومفاخر الآباء زاد جمالها ... كالروض حياه الربيع فنورا
حسب الديار ديار مصر اذا دجى ... ليل الخطوب بحسن رايك نيرا
وكفى الرعية أن يقوم برعيها ... مولى يلذ بأن تنام ويسهرا
للملك سيف منك احكم صقله ... وبدت بمتنيه خلالك جوهرا
شهدت سيوف الهند حين رأينه ... ان السيوف بمصر اكرم عنصرا
وعدت تقر بأن ماضى حده ... قد رد باترها المصمم ابترا
عباس قد سست البلاد سياسة ... سيحدث التاريخ عنها الاعصرا
انفذت حكمك بادها بمسائل ... دقت على الحكماء ان تتصورا
طربت لحكمتها الشيوخ واذعنت ... فلو ان رسطا ليس ثم لكبرا
زيفت قول المرجفين مبينا ... للحق نهجا كاد ان يتنكرا
وبنيت سدا من ذكائك دونهم ... فاريتنا يأجوج والاسكندرا

يا صاحب النيل الذى جرت به | مصر على البلدان ذيلا اخضرا(١)
حققت آمل البلاد وجزتها | شأواً وما جزت الشباب الانضرا
رامتك شبلا كي تعز عرينها | فابيت الا أن تكون غضنفرا
همم اذا مدت لمفتخر يدا | لا ترتضي الا الاعز الاكبرا
وعزيمة ميمونة لو لامست | صخرا لعاد الصخر روضا ازهرا
لله كيف ركضت فى طرق العلا | فقطعتها حيث المجود قصرا
لو ان غيرك سالك هضباتها | ورأى مجاهل سبلها لتعثرا
لكن جاشك لا يمكن منهجا | يفضى الى العلياء ان يتوعرا
ياليت اصلا انت خير فروعه | يوما يرد الى الحياة لينظرا
ويراك تبنى المجد مثل بنائه | وتذود عن حوض الجدود مظفرا
وتحير الدنيا بسيرتك التى | قد سارها قدما فاكبرها الورى
ياابن الذين سموا لابعد غاية | فتسنموا القنن الشوامخ والذرى
عزز بناءهم الذى قد وطدوا | تشكر وشيده يشدلك مفخرا
وتول تذليل الصعاب فانها | مرهونة حتى تقول وتأمرا
ان الذى جعل العزائم بعض ما | أوتيت قدر أن تعان وتنصرا
لم يخلق الله الشهامة فى امرىء | الا لخير قد أراد ودبرا

(١) لا أظن القارئ بحاجة الى تنبيهه الى ما فى هذا البيت من جمال التصوير

ومغاب العقبات حتما غالب الا اذا اطرح الثبات وأقصرا
بشرى فشهر الصوم أقبل باسما يهدى اليك من السلام الاعطرا
ويثيبك الاجر المضاعف راحلا اذ كنت أفضل من يثاب واجدرا
شهر كما زنت الامارة ناشرا فينا لواء العدل زان الاشهرا
لله در تداككما فلقد جرت ايامه اجرا وكفك ابحرا
بشراك بالعيد السعيد فانه قد أم بابك راضيا مستبشرا
ورأى بناديك البهى مهابة كتبت على حنبات عرشك اسطرا
واهنأ فان لنا هنياء هنيا في أن تسر به وحظا اوفرا

هذه قصيدة بحترية صرف وهى من أصفى الشعر المصرى ديباجة ومن أراد أن ينظر كيف يحاكي الفرع الاصل فليتأمل هذه القصيدة . وقصيدة « فرعون وقومه » ،وقصيدته التى هنأ بها « المرحوم السلطان حسين حينما أسند اليه منصب السلطنة المصرية » ، وقصيدته «الى الامير عمرباشا طوسن بمناسبةاعانته جرحى الحرب البلقانية » . وقصيدته التى قالها سنة ١٩١٤ فى « حفلة تكريم واصف بك غالى» ، وقصيدته التى قالها فى حرب طرابلس ، وقصيدته التى « عزى بها السلطان حسين بفقد والدته سنة ١٩١٧ . وقصيدته التي هنأ بها الخديوى عباس سنة ٩٠٨

على أن هذه القصائد ليست بحترية بإسلوبها وحده بل

« بالروح » التى تشف عنها : وهذا يدل على شدة تعلق صبرى بالبحترى ونسجه على منواله . وهذا البارودى قد نسج على منوال البحترى ولكنه لم يتعلق به تعلق صبري فجاء شعره يحاكي شعر البحترى فى احكام الصناعة وصقل الديباجه ولكن تنقصه هذه « الروح » التى تطل من اول شطر فى قصيدة صبري :
(بعلاك يختال الزمان تبخترا)

واذكر مرة أن حافظ حدثني فى الطريق عن البحترى والمتنبي فقال : « البحترى شاعر يفتح ذراعيه فى الطريق لمن يقابله ويأخذه بالحضن . أما المتنبي فيجب ان تقف امامه زنهار وتضرب سلام » وهذا أحسن تصوير لابحترى وروحه. وكذلك كان صبرى فى حياته وشعره

*
* *

ولكن شخصية صبري الحقيقية تتجلى فى خمس اوست قصائد اخرى قصيرة وفى مقاطيعه . وقد ضرب فيها على وترين وتر الحكمة ووتر الوجدان . وقد وصف خليل مطران الطريقة التي يجرى عليها فى نظمه ، قال : « اكثر ماينظم فلخطرة تخطر على باله من مثل حادثة يشهدها أو خبر ذى بال يسمعه أو كتاب يطالعه . ولما كان لا ينظم للشهرة بل لمجاراة نفسه علي ماتدعوه اليه

فالغالب فى أمره انه يقول الشعر متمشيا وربما قاله بحضرة صديق وهو مائل عنه بعنقه وله بين حين وحين أنة بتثني ماتنذق لفظة « إيه » مستطيلة . ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة الى أربعة الى ستة وقلما يزيد على هذا القدر الا حيث يقصد قصيدة وهو نادر . شديد النقد لشعره كثير التعديل والتحويل فيه حتى اذا استقام على مايريده ذوقه من رقة اللفظ وفصاحة الاسلوب اهمله ثم نسيه . وهكذا يمر به الآن بعد الآن فيجيش في صدره الشعر فيرسل بيتيه اطلاق زوجى الطائر فيذهبان في الفضاء ضاربين من اشعارهما باجنحة ملتمعة شاديين على توقيع العروض الى أن يتواريا وينقطع نغمهما من عالم النسيان ذلك هو الشعر للشعر »

كان صبري في حياته ينزع كثيرا الى قول الحكمة ولكنه لم يوفق فيها كما وفق في شعره « الغنائى » الذي امتاز به على جميع معاصريه بلامراء وهو ماسنفصله فيما بعد

ولا أعرف له فى الحكمة عدا المقاطيع الا قصائد « الدواة » و « الساعة » و « نجم هالى » ومرثية مين باشا فكرى ، وفى هذه القصائد التى تبعث الشجا تنعكس الحياة وساعاتها والوجود وصوره كما تنعكس الطلول البوالي على صفحة البحيرة الصافية ، ولو أن الدنيا

تمثلت شخصا لما خاطبها صبري بأحسن من قول أبي تمام يخاطب عمورية :

ولا الخدود وان أدمين من خجل اشهى الى ناظرى من خدك الترب

ذلك بأن صبري شاعر كان قد جرب الحياة وذاق حلوها ومرها واشتبهت عيناه فى وجوه الامم والرجال التى حدق فيها طويلا فعلا وجهه منها ذاك الشحوب البادى وارتسم عليه ظل من الكآبة كانت تلطفه ابتسامة شفتيه ، وهل صور شاعر قبله الحياة بمثل قوله :

وان تجد من بينها ساعة جعبتها من غصص خالية
فاله بها لهو الحكيم الذى لم ينسه حاضره ماضيه
وامرح كما يمرح ذو نشوة فى قلة من تحتها الهاوية

وهل قال أحد فى الوجود وساكنيه مثل قوله وهو من الابيات الجامعة .

تعب الفيلسوف فى الناس عصرا وتولى السرائر الدين عصرا

وقوله وهو من السهل الممتنع النادر فى الشعر العربى .

دبر كلها الليالي ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرا

ثم انظر كيف يخاطب نجم هالى .

هل تلقيت من لدن خاذل البا غى وحامى الضعيف يانجم سرا

أغدا تستوى الانوف فلا ينظر قوم قوما على الارض شزرا
أغدا كلنا تراب ولا ملك خلاف التراب برا وبحراً
أغدا يصبح الصراع عناقا فى الهيولى ويصبح العبد حرا
ان يكن كل مايقولون فاصدع بالذى قد أمرت حيث عشرا

هـذه الابيات تشف عن شغل الحكيم الشاغل في هذه الحياة ، عن ذلك المثل الأعلى للحرية والاخاء والمساواة الذى أراقت الامم دماءها على بابه المنكود دون أن تبلغـه . وها هو شاعرنا يريد أن يصل اليه عن طريق الموت والعالم الابدي

وقد تجلي هذا الشغل الشاغل فى قصيدة الدواة حيث يقول

واذا الظلم والظلام استعانا يوم نحس بأجهل الجاهلينا
واستمدامن الشرور مدادا فاجعليه من قسمة الظالمينا

وحيث يقول .

واذا كان فيك نقطة سوء كونت من خبائة تكوينا
فاجعليها قسط الذين استباحوا فى السياسات حرمة الاضعفينا

وحيث يقول للاتراك بعد الدستور

الحق ابلج سلوا دن بيضته قبل السيوف سيوفا من براهين
لاتلبسوا ثوبه بين الانام غدا ملوثا بدم القوم المساكين

ويدخل أيضا فى هذا المعنى قوله يخاطب عباس وقد صاغ

النصيحة فى قالب تقرير حقيقة واقعة وهذا غاية فى الادب وحسن السياسة.

يا ليت أصلا أنت خير فروعه　　يوما يرد الى الحياة لينظرا
ويراك تبنى المجد مثل بنائه　　وتذود عن حوض الجدود مظفرا

وقوله.

مستنجدا من بنى مصر الى شمم　　اذا رأوا ثلمة فى حوضهم جبروا

ولا يفوتنا أن نقول ان فى بيت صبرى

أغدا يصبح الصراع عناقا　　فى الهيولى ويصبح العبد حرا

لمشهدا من أجل المشاهد التى لا يمكن عينا أن تحيط بها.

ويظهر أن شاعرنا مولع بالمشاهد الواسعة الممتدة، وهذه النزعة تتجلى فى قصيدة « فرعون وقومه »، ومن هذه المشاهد ما يتناوله الحس كقوله:

وآزرته جماهير تسيل بها　　بطاح واد بماضى القوم ملآن

ومنها ما يتناوله المعنى كقوله فى وصف الاهرام:

كأنها والعوادي فى جوانبها　　صرعى بناء شياطين لشيطان

وقوله فيمن شادوها:

بادوا وبادت على آثارهم دول　　وادرجوا طي اخبار واكفان
وخلفوا بعدهم حربا مخلدة　　فى الكون ما بين احجار وازمان

ولعل أجود شعر قاله صبري في الحكمة كان شعر الحياة والموت. قال رحمه الله يصف « راحة القبر » :

انسئمت الحياة فارجع الى الار ص تنم آمنا من الاوصاب
تلك ام احنى عليك من الام التى خلفتك للاتعاب
لاتخف فالممات ليس بماح منك الا ماتشتكى من عذاب
كل ميت باق وان خالف العن وان مانص في غضون الكتاب
وحياة المرء اعتراب فان ما ت فقد عاد سالما للتراب

حدثني حافظ ان هذا البيت الاخير هو أجود معنى قاله صبرى . ويخيل الى ان روح ابي العلاء تطل من كل بيت من هذه الابيات حين يقول :

ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

ولكن اباالعلاء ينظر الى الارض نظرة اخرى تشف عن جوى باطن:

خفف الوطء ماظن اديم الا رض الا من هذه الاجساد

ينظر اليها المعري نظرة الشاعر الفرنسي « الفريددى فيني » الى الطبيعة في قوله : « انهم يسمونك اما وما انت الا قبر » ، ونظرة شوقى في قوله :

عقت بنيها ظاهرا واظن باطنها اعقا

***

عند الافرنج نوع من الشعر يدعي Lyriqueنسبة الى Lyre وهي القيثارة ولا ادرى ماالذي يمنعنا من تسميته بالشعر «الغنائي» فان هذا الضرب من الشعر كان يغنى به فى القرون الوسطي وهو شبيه « بالاغانى » فى الشعر العربى

وقدتفنن صبرى فى هذا الشعر الوجدانى ونظم فعلا للغناء ادوارا خاصـة ، منهـا (الفجر لاح قوموا ياتجار (١) النوم)

ومن أدوارهالمشهورة « دورللغناء قديم على نغمات العوده:

مذهب بياتى

قدك أمير الاغصان	من غـير	مكابر
وورد خدك سلطان	عـلى	الازاهر
دا الحب كله اشجان	يا قلب	حاذر
والصد ويا الهجران	جزا	المخاطر

دور

يا قلب اذا انت حبيت	ورجعت	تنـدم

(١) كلمة «تجار» هذه قد وردت مخففة فى بيت من احسن شعر لهقيل في الرثاء :

الا ياتجار العصر هل فيكم امرؤ	يبيع على صرعى الهموم عزاء
اذا دلنى منكم على مثله فتى	خلعت عليه ما يشاء جزاء
ففى الحي قوم عاكفون على لظي	تذيبهم البلوى صباح مساء
يخالهم الرائى سكارى من الاسى	فيبكى عليهم رحمة ووفاء

وصبحت تشكى مارايت لك حد يرحم
صدقت قولى ورأيت ذل المتيم
ياما نصحتك ونهيت لو كنت تفهم

دور

اعرض لحسنك أوراق وا كتب ودون
وابات صريع الاشواق واحسب واخمن
دا هجر وصبابة وفراق يارب هون
وارحم قلوب العشاق دا شىء يجنن

وشعره « الغنائي » أنواع منها النوع المتقدم الذى جعل خصيصا للغناء ومنها ماتتخلله نزعة دينية ـ وقدنظم « لامرتين» من هذا النوع ديوانين ـ مثال ذلك قول شاعرنا .

الى الله

يارب أين ترى تقام جهنم للظالمين غدا والاشرار
لم يبق عفوك في السموات العلى والارض شبرا خاليا للنار
يارب اهلنى لفضلك واكفنى شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك لكى ارى غضب اللطيف ورحمة الجبار
يا عالم الاسرار حسبي محنة علمى بأنك عالم الاسرار
اخلق برحمتك التى تسع الورى الا تضيق بأعظم الاوزار

هذه الابيات من خير ما قيل فى الاستعطاف والرجاء،
وهى من ارقى الشعر الغنائى الذى يعلو بالعاطفة الدينية الخالصة
الى السماء كما تعلو الصلوات لله . وما اكثر الشبه بين قوله :

ومر الوجود يشف عنك لكى ارى غضب اللطيف ورحمة الجبار

بقول لامرتين .

Et J, ai monte devant sa face
et La nature m,adit passe
ton sort est sublime, Ilt,avu

« صعدت أمام وجهه الكريم ، فقالت لى الطبيعة سر فى
طريقك . ما أعظم شانك ، انه رآك »

فانت ترى كيف التقى الشاعران فى سمو الخيال وصفائه . على
أننا اذا قلنا ان شعر صبرى الغنائى كان شبيها بالصلاة التى تذهب
صعداً نحو السماء فقد كانت الطبيعة له معبدا ، وكانت المرأة
فى هذا المعبد « تمثال جمال » :

يالواء الحسن احزاب الهوى أيقظوا الفتنة فى ظل اللواء
فرقتهم فى الهوى ثاراتهم فاجمعي الامر وصوني الابرياء
ان هذا الحسن كالماء الذى فيه للأنفس ري وشفاء
لاتذودي بعضنا عن ورده دون بعض ، واعدلى بين الظماء
أنت يم الحسن فيه ازدحمت سفن الآمال يزجيها الرجاء

يقذف الشوق بها فى مائج بين لجين . عناء وشقاء
شدة تمضى وتأتى شدة تقتفيها شدة ، هل من رجاء
ساعفى آمال انضاء الهوى بقبول من سجاياك رخاء
وتجلى واجعلى قوم الهوى تحت عرش الشمس بالحكم سواء
أقبلى نستقبل الدنيا وما ضمنته من معدات الهناء
واسفرى ، تلك حلى ما خلقت لتوارى باثام أو خباء
واخطرى بين الندامى يحلفوا أن روضا راح فى النادي وجاء
وانطقي ينثر اذا حدثتنا ناثر الدر علينا ما نشاء
وابسمى ، من كان هذا ثغره يملا الدنيا ابتساما وازدهاء
لا تخافى شططا من انفس تعتز الصبوة فيها بالحياء
راضت النخوة من اخلاقنا وارتضى آدابنا صدق الولاء
فلو امتدت أمانينا الى ملك ما كدرت ذاك الصفاء
أنت روحانية لا تدعى ان هذا الشكل من طين وماء
وانزعى عن جسمك الثوب يبن للملا تكوين سكان السماء
وأرى الدنيا جناحى ملك خلف تمثال مصوغ من ضياء

نشرت هذه القصيدة لاول مرة فى « المجلة المصرية » فى يونيه سنة ١٩٠١ ، وهذا ما قاله خليل مطران بهذه المناسبة .

« كانت الغزليات قبل الآن فيها ما يمس الآداب العمومية من

ذكر القدود والنهود والفم والعناق ورقة الخصر وكثافة الردف ولقد كان هذا من العام حتى فى قصائد المديح للملوك والامراء وهو مالا ترضاه الاذواق فى هذه الايام وينكره علينا ادباء الغرب . وقد سئل صاحب السعادة المفضال اسماعيل باشا صبري نظم أبيات تنقل الى اللغة الفرنساوية وتجعل فى كتاب يؤلف الان فى مختار الشعر العربي قديمه وحديثه فجادت قريحته الوقادة بهذه الابيات التى جاءت على الطريقة الصوفية من حيث سمو الخيال ونزاهة الشيمة وغرابة الوضع ولعلها احسن ما جمع فيه بين الاسلوبين العربى والغربي فى نظم الشعر »

يحب صبرى المرأة لانها تمثل الجمال وهو ينظر اليها نظرة المصور الماهر الي دمية جميلة يجد فى جمالها ظلا ينزوي فيه من هجير الحياة :

ان هذا الحسن كالماء الذى فيه للانفس رى وشفاء

وقد يفتن الجمال المصور أو الشاعر ويسمو به الى أعلى مرافى الخيال فتتمثل المرأة كأنها قطعة من النور الآلهى هبطت على الارض لتلقى عليها عزاء وسلاما . وهنا يقف الشاعر موقف العابد وتصفو نفسه وتعلو كقطعه من نور تلتقى بالاخرى ثم تتلاشيان تلاشى اللجتين على ساحل الفناء

لاتخافي شططا من انفس . تعثر الصبوة فيها بالحياء
فلو امتدت امانينا الى ملك ما كدرت ذاك الصفاء
وانزعى عن جسمك الثوب بين للملا تكوين سكان السماء
واوى الدنيا جناحى ملك خلف تمثال مصوغ من ضياء

وأعرف لصبرى ابياتا ارق من نسمات السحر تكاد تبعث ميت الهوى وتعيد أيام الشباب النضر وتفجر الماء الزلال من الصخر ، قال رحمه الله شاكيا مسترحما :

ابثك مابى فان ترحمى رحمت اخا لوعة مات حبا
واشكو النوى ما امر النوى علي هائم ان دعا الشوق لبا
واخشى عليك هبوب النسيم وان هو من جانب الروض هبا
واستغفر الله من برهة من العمر لم تلقنى فيك صبا
تعالى نجدد زمان الهناء وننهب لياليه الغر نهبا
تعالى أذق بك طعم السلام وحسبي وحسبك ما كان حربا

أجل كانت المرأة شغل فؤاده وقد بلغ من تعلق شاعرنا بها انه كان يراها في حاضره وكان يراها بعين الذكرى فى ماضيه ، ومنذا الذى يذكر روضة الشباب ولا يذكر القمارى ،فينشد تارة:

تمسى تذكرنا الشباب وعهده حسناء مرهفة القوام فنذكر
تثب القلوب الى العيون اذا بدت وتطل من حدق العيون وتنظر

وتارة :

اخفق فؤادي فما الذكرى بنافعة ولا بشافعة فى رد ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

واخرى (وهذه الابيات لم يسبق نشرها) (١):

يامقر الغزال قد صح عندى الـ يوم اني اقتحمت منك عرينا
حسب عيني مارا بها من قلوب بات يغرى بها السواد عيونا
وضلوع جاءتك وهى خوال ثم عادت ملأى هوى وشجونا
ما الذى يبتغى غزالك منى بعد كونى عبدا له ان اكونا
كلما قلت قد ابل فؤادى ساورته الذكرى فجن جنونا

ولقد كان صبرى يرى المرأة في صورة ملك ، وقد يراها غيره في صورة الدنيا التى قال فيها ابو نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو فى ثياب صديق

والتى قال فيها ابن المعتز : « وعد الدنيا الى خلف وبعد امانيها الفجع طواحة طراحة آسية جراحة كم راقد فى ظلها قد ايقظته وواثق بها قد خانته حتى يلفظ نفسه ويودع دنياه »

ومن هذا القبيل قصيدة «الفريد دى فينى» المساة «شمشون ودليلة » التى وصفت المرأة فيها بالخيانه والغدر (وهى معربه فى

---

(١) روى لى هذه الابيات الكاتب الاديب الاستاذ صادق افندى عنبر

الجزء الثاني من بلاغة الغرب)

وكان يراها في صورة ريحانة تحسد السماء من أجلها الارض:

ياراحة القلب يا شغل الفؤاد صبي	متيما انت الحالين دنياه
زيني الندى وسيلي في جوانبه	اخفقا يم رعايا اللطف ريه
ريحانة انت في صحراء مجدبة	من أرياحين يديانا بها الله
ن غاب ساقي الاعمال وصد لا حرج	هذا جمالك يغنينا محياه

اليس يخيل اليك ان هذا الشعر نغمات موسيقية هبطت علينا خاسة من السماء هبوط الندى في ليلة من ليالي الربيع . تلك نغمات تشف عن نفس محزونة تحن الى منازل الكمال في ذلك العالم العلوى كما يحن غريب الدار الى الاوطان . وهذا الحزن هو أكبر مميزات الشعر الغنائي الذى هو شعر العاطفة والوجدان ، ولعل مطران اشار الى هذا بقوله.

بلغ الحقيقة شاعر	منذره الوهم الكذوب
اوفى على عدن وما	هو عن محاسنها غريب

ولقد كان شاعرنا يفتش عن الحقيقة في دنياه وهي كالظل يمعن في الجرى وراءها وهي تمعن في الهرب . قال من ابيات له لم يسبق نشرها يخاطب سيدة تدعي الكسندرا :

اثرى الدنيا سمية اسكند	در لا فض عقده في فيك

واميطي عن الحقيقة مايحـ　　جب عناجمالها من شكوك

والشاعر الغنائى أبدا يهيم في وادي الغرائب ويتخـذ الجمال ومظاهره فى هـذه الحياة الدنيا سلمـا من ضياء يرقى به اسباب السماء . ذلك بان ازاهير الارض سريعة الذبول . ونجومها سريعة الافول ، وجمالها سريع الزوال كالنار لاتلبث أن تحور رمادا. وهذا الرماد الذى يذوقه كل من احب وجرب وعاش وشب وترعرع في حجر الجمال يحبب الى الانسان طعم العدم والفناء . ويدفعه الى مناجاة الموت مناجاة الالف اليفه :

ياموت خذ ما ابقت الا　　يام والسـاعات منى

بينى وبينـك خطـوة　　ان تخطها فرجت عنى

وقـد حـدثت لصبرى وقت ان كان محافظا للاسكندرية حوالى سنة ٩٧ رضوض على اثر اصطدام القطار به فى طريقه الى القاهرة فظل غائبا عن الوجود خمسة عشر أو عشرين وما. روي لى حافظ انه قابله بعد ابلاله فقال له صبرى مامعناه: « وددت أني لم أفق فقد ذقت مرارة الوجود »

على أن هذا الرجل الذى كان يحب فى الموت ذلك « المنقـذ السماوى » ـ كما كان يسميه لامرتين ـ ما كان أشد جزعـه اذا راى الصراع القائم فى هذه الدنيا بين الموت والجمال ، ورأى البلى

يغير على حسن الوجوه والفناء يدب فى مخضر الشجر ،

وهل بكى شاعر حبه للطبيعة وود لو نزل منها مكان سمعها وبصرها وظل بين نحرها وصدرها حتى تواريه فى قبرها بمثل قوله يناجى سرحة الحى :

عار عليك وهذا الظل منتشر — فتك الهجير بمثلى فى نواحيك
فمن معيرى جناحى طائر غرد — كى اقطع العمر شدوا فى اعاليك

ثم انظر كيف رثى ابنا صغيرا للشيخ على يوسف بابيات قالها ارتجالا يوم دفنه ، وقد قال عنها « المؤيد » انها (لصديق) من كبار الشعراء :

يا مالئ العين نورا والفؤاد هوى — والبيت انسا تمهل ايها القمر
لا تخل افقك يخلفك الظلام به — والزم مكانك لا يحلل به الكدر
فى الحى قلبان باتا يا نعيمهما — وفيهما اذ قضيت النار تستعر
واعين أربع تبكى عليك اسى — ومن بكاء الثكالى السيل والمطر
قد كنت ريحانة فى البيت واحدة — يروح فيه ويغدو نفحها العطر
ما كان عيشك فى الاحياء مختصرا — الا كما عاش فى اكمامه الزهر
فارحل تشيعك الارواح جازعة — فى ذمة الله بعد الفجر يا عمر

لم يجد المرحوم الشيخ على يوسف نفسه فى رثاء ابنه افضل من نثر هذا الشعر سيما البيتين « فى الحى قلبان ... واعين اربع

تبكى عليك اسى » . ذلك بان صبرى قد اجاب فى بكاء هذا الطفل داعية الجمال وقد ذوى منه ذلك الفريع المتدلى فى دوحته

وقصارى القول كان صبرى في شعره الغنائى ينشد الحب والموت والجمال والصداقة. اما الصداقة فكان يجد فيها رياللنفوس الظماء . وكانت تنزل من نفسه منزلة الحب فقال :

ولما التقينا قرب الشوق جهده   شجيين فاضا لوعة وعتابا
كأن صديقا فى خلال صديقه   تسرب اثناء العناق وغابا

ولا ارى رأى الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى تعليقه على هذين البيتين : « وهـذا المعنى على ابداعـه فيه متداول واصله لبشار ـ اظن ـ فى قوله :

وبتنا جميعا لو تراق زجاجة   من الخمر فيما بيننا لم تسرب

« فابدع صبرى فى احذه وجعل من هذه الزجاجة المنصدعة جوهرة تتالق » ثم قال « على اني لا استحسن قوله « كأن صديقا » فما هذا بعناق الاصدقاء .. »

واري اذا كان لابد وان يكون صبرى قد اخذ هذا المعنى من احد قبله ـ وهذا مالا اظن ـ فقد اخذه من Montaigne « مونتينى » الفيلسوف الفرنسى فى القرن السادس عشر الذى قال في موقف عناق « وما كنت ادرى أكان هو ام انا »

يشيربذلك الى فناء (Je ne sais pas si c'est lui, si c,estmoi) الشخصين احدهما فى الآخر .

ثم انظر الى دقة تصوير الذكرى التى تتمثل فى طيف الود وتتداخل بلطف بين الصديقين المختصمين فتكسر السهم والقوس:

اذا خانى خل قديم وعقنى	وفوقت يوما فى مقاتله سهمى
تعرض طيف الود بينى وبينه	فكسر سهمى فانثنيت ولم ارم

على ان هناك ضربا من الشعر غنائى اجاد فيه صبرى، ذلك هو حب الديار والاوطان . وقد قال الشاعر « فراين » : «حب الوطن هو اول حب وآخر حب بعد حب الله » . وقال صبرى «احب الحرية فى ثلاث . فى المرأة فى ظل زوجها . وفى الرجل تحت ظل شريعته . وفى الوطن تحت ظل الله » . وقد يكون هذا الحب حنينا بحتا كموله عن لسان شوقى وهو بالاندلس، (وهى ابيات غير التى ارسلها شوقى اليه وقيل وقتئذ ان شوقى بعث بها الى حافظ)

ياساكنى مصر انا لانزال على	عهد الوفاء وان غبنا مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم	شيئا نبل به احشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة	ما ابعد النيل الا عن امانينا

وقد يكون هذا الحب تقريعا مرا لبنى وطنه على القعود عن الذود عن حقوق البلاد . ولكنه تقريع فى قالب هزلى تتجلى

فيه تلك النكتة المصرية اللطيفة التى تشف عن دقة الملاحظة وخفة الروح (١) . انظر الي قوله على اثر استقالة وزارة مصطفى فهمى عن لسان بعض اعضائها ، وقد نشرت هذه المقطوعات فى اهرام ١٦ نوفبر سنة ١٩٠٨ ، قال عن لسان « مصطفى » بتوقيع بنناؤور ،

نى استغفر الله لكم	آل مصر ليس فيكم من رجال
قل غربي ماارى من قومكم	ورضاكم بوجود الاحتلال
بح صوتى داعيا مستنهضا	سارخا حتى تولانى الكلال
لم اجد فيكم فتى ذا همة	ان عدا الدهر عدا اوصال صال
رحم الله وزيرا سامه	قومه ماليس يرضى فاستقال

وقال عن لسان عباس :

ياجنود البر والبحر اشهدوا	واسمعوا مني كلمات فصاح

(١) نذكر بهذه المناسبة ان المرحوم صبري باشا نظم مقطوعات فكاهية كثيرة في حوادث شخصية شتي منها مانشر وعرف لوقته ومنها مالا يعرفه الا القليلون وذهب اكثره في عالم النسيان من النوع الاول ماقاله في مصنوع :

انا نسل الاولى رفعو بناء	يرى للنسر فوق ذراه بيت
اريش يراعتى بمداد حبرى	وانى لاح لى هدف رميت
وان احد تعرض لى بسوء	وقفت وراء صدغي واختفيت

ذى يدى قد مزقتها لقم تجتنى من فوق اطراف الرماح
ذاك جسمى رسم الدهر على كل عضو منه اهوال الكفاح
انى عفت تكاليف العلى بينكم والعيش فى ظل الصفاح
رحم الله وزيرا عاملا ملئت فخرا يداه فاستراح

وقد يكون هذا الحب استنهاضا لقومه وحثالهم على الاقتداء بمثل حى فى امة من الامم الحديثة الناهضة . مثل ذلك :
نشر شوقى فى « اهرام » ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٨ قصيدة في الدستور العثمانى جاء فى ختامها :

ياشعب عثمان من ترك ومن عرب حياك من يبعث الموتي ويحييها
صبرت للحق حين النفس جازعة والله بالصبر عند الحق موصيها
نلت الذى لم ينله بالقنا احد فاهتف لانورها واحمد نيازيها
مابين آمالك اللائى ظفرت بها وبين مصر معان انت تدريها

ثم كتبت الاهرام فى ٢١ ديسمبر سنة ١٩٠٨ مانصه : « لما وصل احد اعلام الشعر عندنا الى ختام قصيدة شوقي التى نشرناها يوم الاحتفال بفتح مجلس المبعوثان جاشت قريحته وقال : لوانصف شاعر الامير لأتم قصيدته بعد قوله يخاطب مجلس المبعوثان

مابين آمالك اللائى ظفرت بها وبين مصر معان انت تدريها

بما اقوله على لسانه ثم تناول القلم قال ، (وقد نشرت الاهرام

الابيات الآتية التى تحققنا انها لصبرى) :

يامصر سيرى على آثارهم وقفى ... تلك المواقف فى اسنى مجاليها
لا يوئسنك ماقالوا وما كتبوا ... بين البرية تضليلا وتموبها
ان يمنعوا الناس من قول فما منعوا ... ان ينطق الحق بالشكوى ويبديها
الحق اكبر من ان تستبد به ... يد وان طال فى بطل تماديها
ماضيع الله ظلما امة نهجت ... الى المفاخر نهجا وهو هاديها
فقلدوا الامة الكبرى وقد ركبت ... متن المخار وكان الجد حاديها
تماسكت وهي شتى فهى واحدة ... فى القصد حين رأت كثرا اعاديها
ياآية الفخر هلا تنزلين كما ... نزلت ثم على مصر واهليها
كيما نجر ذيولا منك جررها ... من قبلنا الترك فى اوطانهم تيها
ياعابدين لانت اليوم مصدرها ... وفى ذراك باذن الله موحيها

وقد يكون هذا الحب حثا لقومه على الاقتداء بامة من الامم الكبيرة فى الاعصر الغابرة ، وهل هناك مثل اقرب الينا واكبر شانا من امة الفراعنة التى كان يخاطبها فرعون بقوله :

لا القوم قومى ولا الاعوان اعوانى ... اذا ونى يوم تحصيل العلا وانى
ولست ان لم تؤيدنى فراعنة منكم ... بفرعون عالى العرش والشان
ولست جبار ذا الوادى اذا سلمت ... جباله تلك من غارات اعوانى
لا تقربوا النيل ان لم تعملوا عملا ... فماؤه العذب لم يخلق لكسلان

ولهذه القصيدة تاريخ لايعرفه الا القليلون ، ويجدر بنا ان نذكره هنا فان خطر الموضوع لايخفى على احـد . كان الاستاذ خليل مطران بعث بقصيدة دالية الى محمد بك مسعود بالمؤيد من سقاره على اثر زيارته لاهرامها ، جاء فى هذه القصيدة عن فرعون

شاد فاعلى وبني فوطدا لا للعلى ولا له بل للعدا
مستعبدا أمته فى يومـه مستعبدا بنيه للعادى غدا

وجاء فيها عن العمال المصريين الذين بنوا الاهرام :

انى ارى عد الرمال ههنا خلائقا تكثر ان تعددا
مجتمعين ابحرا منفرعين انهرا منحدرين صعدا
صفر الوجوه ناديا جباههم كالكلأ اليابس يعلوه الندى
اكل هذى الانفس الهلكى غدا تبنى لفان جدثا مخلدا

وقد اطلع صبرى على هذه القصيدة التى تؤيد نظريته فخالف نظريته فنظم نونيته قائلا أن هذه البنايات لم تتم الا على يد عمال ، كانوا يطلبون الاتقان الفنى اكراما للفن لاخوفا ولا طمعا . والحقيقة ان صبري راعى فى نظريته ما يسمونه «بالوجهة التاريخية الوطنية » اما مطران فقد نظر الى الوجهة العلمية التى يؤيدها التاريخ فان بناء الاهرام ما كان الا سخرة ارهقت الملايين من المصريين واثارت السخط فى البلاد مدة قرنين . ونظر ايضا الى

الوجهة الاجتماعية القديمة فان الظلم من شأنه افساد الاخلاق التي لاتحيا الأمم بدونها .

على أن شوقي قد وفق بين النظريتين بطريقة شعرية فلسفية في قوله :

ولمن هياكل قد علا الباني بها   بين الثريا والثرى تتنسق
هي من بناء الظلم الا انه   يبيض وجه الظلم منه ويشرق
لم يرهق الامم الملوك بمثلها   فخرا لهم يبقي وذكرا يعبق

وقد نظم خليل مطران زدا علي قصيدة صبري نونية أخري لم يسبق نشرها ، وكان ذلك على أثر مشاهدته بعض الآثار ورؤية تمثال محفوظ لرمسيس الثاني في الاقصر . وفي هذه القصيدة عاد مطران الى نظريته الاولى لانه يري ان المجد لا يمس وان عظمة مصر باقية سواء كان أصل البنيان الظلم أم غيره وان الفراعنة نهضوا بمصر وان كان اعتقاد الشاعر ان ضررهم كان اكبر من نفعهم في جانب شخصية الامة وتكوينها الحر ، قال مطران :

اكبر برمسيس ميتا لا يلم به   موت واكبر به حيا الى الآن
لو لا تماثيله الاخري محطمة   ماجال في ظن فان انه فان
في مصر عز فراعين فابلغوا   بها مبالغه من رفعة الشان
ولم يتم لها في غير مدنه   ماتم من فضل اثراء وعمران

تخـير الخطة المثلى له ولهـا … يعلو فتعلو به والخفض للشاني
مازال بالقوم حتى صار بينهم … اله جنـد تحـابيه وكهـان
ورب سـائمة بلهـاء هائمة … تشقي وتهواه في سر واعلان
يسومها كل خسف وهي صابرة … لا صبر عقل ولكن صبر ايمان
ان بات في حجب باءت الى نصب … يلوح منه لها معبودها الجاني
فبجلت تحت تاج الملك مدميها … وقبلت دمها في المرمر القاني
مخـلدا دون من قاموا برفعته … من شوس حرب وصناع واعوان
مخالسا ذمة العلياء مضطجعا … من مهد عصمتها في مضجع الزاني
بحيث آب وكل الفخر حصته … ولم يؤب غـيره الا بخسران
كم راح جمع فدي فرد وكم بذلت … في مشترى سيد ارواح عبدان

* * *

كلا وعزته فيما طغي وبغي … وذل من قبل الضيري باذعان
هم الذين على عسر بمطلبـه … قد اسعفوه باموال وفتيـان
وهم على سفه دانوا بمن نصبوا … نخولوه مدينـا حق ديان
فيم الالى صنعوا انصابه درست … رسومهم منذ باتوا ارهن اكفان
وما لاسمائهم دون اسمه دفنت … شعثا منكرة في رمس كتمان
ليت البلاد التي اخلاقها رسبت … يعلو باخلاقها تيـار طغيـان
النار اسوغ وردا في مجال على … من بارد العيش في افياء فينان

اكرم بذى مطمع في جنب مطمعه
ينجو الاذلاء من خسف وخسران

يهب فيهم كاعصار فينقلهم من خفض عيش الى هيجاء ميدان
بعض الطغاة اذا جلت اساءته فقد يكون به نفع لاوطان
في كل مفخرة تسمو الشعوب بها تفنى جموع مفاداة لأحدان
كم في سني الكوكب الوهاج مهلكة فى كل لمح لاضواء والوان
لم ترق في حقبة مصر كما رقيت فى عصره بين امصار وبلدان
لما رمت كل نائي الشوط ممتنع بسابقين الى الغايات شجعان
الا تري فى بقايا الصرح كيف مضوا باوجه باديات البشر غران
وكيف عادوا ورمسيس مقدمهم الى الربوع باوساق وغلمان

كلا الشاعرين في قصيدته يستنبط عبر التاريخ وينظمها درسا نافعا لامته ، وكلاهما يجيب داعية الوطنية وينتصر للحق والعدل وان اختلفت وجهتا نظرهما وهما متفقان في جوهر الموضوع ، فى الاشادة بذكر عظمة مصر الغابرة وعظمة الفراعنة وتنبيه الخلف الى مجد السلف

* * *

قلنا ان صبرى انفرد بالشعر الغنائي بين معاصريه ونزيد الى ذلك ان الفضل الا كبر في ارتقائه الى هـذا المنصب العالى فى

الادب يرجع الى مقاطيعه التى حلق بها فى أعلى سماء ، وتمتاز هذه المقاطيع بالروح التى تشف عنها لا بالمعانى الغريبة او الجديدة التى لا يفهم بعض الناس الشعر بدونها ، تمتاز بتصوير العاطفة والوجدان تصويرا صادقا لا يشوبه تعمل ، تصويرا يخاطب القلب قبل العقل ويرد الشعر الى نبعه الصافى الأول ، وهل كان الشعر الا شعورا ؟ وهل كانت تقاطيع الاعاريض الا غناء ؟

وقد قال صبري الشعر فتغنى به الناس وكانت اذنه كما قال حافظ «حس نبو الوتر» فارضي بذلك ذوقه وارضى سجيته وارضى الشعر ، وسيبقي شعره خالدا ما بقي في مصر قلب يخفق وشعب يسمو الى العلياء

مختارات

فرعون وقومه

« لاالقوم قومی ولاالاعوان أعوانی — اذا ونى يوم تحصيل العلا وانی
ولست ان لم تؤيدني فراعنة — منكم بفرعون عالی العرش والشان
لاتقربوا النيل ان لم تعملوا عملا — فماؤه العذب لم يخلق لكسلان
ردوا المجرة كدا دون مورده — أو فاطلبوا غيره ريا لظمآن
وابنوا كما بنت الاجيال قبلكمو — لاتتركوا بعدكم فخراً لانسان
أمرتكم فاطيعوا أمر ربكم — لايثن مستمعا عن طاعة ثانی
فالملك أمر وطاعات تسابقه — جنبا لجنب الى غايات احسان
لا تتركوا مستحيلا فی استحالته — حتى يميط لكم عن وجه امكان »

...

مقالة قد هوت من عرش قائلها — على مناكب أبطال وشجعان
مادت لها الارض من ذعر ودان لها — ما فی المقطم من صخر وصوان
لو غير فرعون ألقاها على ملأ — فی غير مصر لعدت حلم يقظان
لكن فرعون ان نادى بها جبلا — لبت حجارته فی قبضة البانی

وآزرته جماهير تسيل بها بطاح واد بماضى القوم ملآن
يبنون ماتقف الاجيال حائرة امامه بين اعجاب واذعان
من كل مالم يلد فكر ولا فتحت على نظائره فى الكون عينان
ويشبهون اذا طاروا الى عمل جنا تطير بأمر من سليمان
برا ببذى الامر لاخوفا ولا طمعا لكنهم خلقوا طلاب اتقان

...

اهرامهم تلك حى الفن متخذا من الصخور بروجا فوق كيوان
قد مر دهر عليها وهى ساخرة بما يضعضع من صرح وايوان
لم يأخذ الليل منها والنهار سوى ماياخذ النمل من أركان ثهلان
كأنها — والعوادى فى جوانبها صرعى — بناء شياطين لشيطان
جاءت اليها وفود الأرض قاطبة تسعى اشتياقا الى ما خلد الفانى
فصغرت كل موجود ضخامتها وغض بنيانها من كل بنيان
وعاد منكر فضل القوم معترفا يثنى على القوم فى سر واعلان
تلك الهيا كل فى الامصار شاهدة بأنهم أهل سبق أهل امعان
وان فرعون فى حول ومقدرة وقوم فرعون فى الاقدام كفوءان
اذا أقام عليهم شاهدا حجر فى هيكل قامت الاخرى ببرهان
كأنما هى والأقوام خاشعة امامها صحف من عالم ثانى
تستقبل العين فى أثنائها صور فصيحة الرمز دارت حول جدران
لو أنها أعطيت صوتا لكان له صدى يروع صم الانس والجان

...

اين الألى سجلوا فى الصخر سيرتهم وصغروا كل ذى ملك وسلطان
بادوا وبادت على آثارهم دول وادرجوا طى اخبار واكفان

وخلفوا بعدهم حربا مخلدة في الكون مابين احجار وأزمان
وزحزحوا عن بقايا مجدهم وسطا عليهم العلم ذاك الجاهل الجاني
ويل له هتك الاستار مقتحما جلال أكرم آثار وأعيان
للجهل أرجح منه في جهالته اذا هما وزنا يوما بميزان

***

وقال يرثي صديقه

المرحوم امين فكري باشا

وهبتك يادهر من تطلب ابعد امين اخ يصحب
طويت المودة في شخصه فاى وداد امرىء اخطب
واى بديل له ارتضى واى شمائله انذب
امين اتئد في النوى وارعني فبيني وبينك مايوجب
أتذكر اذ انت مني النياط من القلب او انت لي اقرب
واذ نحن هذا لهذا اخ وهذا لذا ابن وهذا أب
ومن قال عنا من الناظر ين نديمي جذيمة لايكذب
حسبت بانك لي خالد فكان الذي لم اكن احسب
افي ذا الشباب وهذا الاها ب يموت الفتى الطاهر الطيب
ويودى الذكاء ويقضي الوفا ء وتردى الفضيلة او تعطب
عجيب من الموت افعاله وعتبي على فعله اعجب
بذا حكم الله في خلقه لكل امرىء اجل يكتب

وجدت الحياة طريق المما ت وكل الى حتفه يسرب
ويعثر فيه الفتى بالشبا ب ويدلف بالعلة الاشيب
ويتعب بالزاد فيه الفقير واهل الغنى بالغنى اتعب
ويشقي اخو الجهل في جهله ويحرج بالعالم المذهب
موارد مشروعة للحيا ة فاي مواردها الأعذب
اتعلم عين الردى من تصيب وتدرى يدالموت من تضرب
الما تكامل نور الامين وتاه به الشرق والمغرب
واوفى المكارم ما املت واعطى الفضائل ما تطلب
ودان له أمل في الحياة وتم له فى العلى مارب
طواه الردى علما فانطوى به امل مقبل نرقب
فيا نائيا والهوى ما نأى وذكراه في البال لا تعزب
هنيئا لدار تيممتها لقد زارها الملك الاطيب
وجاورها كوثر من خلا لك حلو مع الخلد مستعذب
تنعمت فيها وخلفتنى لدى منزل برقه خلب
وداد الصديق به حول وقلب الصديق به قلب
وصعب على الحر فيه المقا م ولكن هجرانه أصعب
ويا تربة حل فيها الامين لأنت الفراديس او اخصب
حساب على رحمات الرحيم وجادك رضوانه الصيب

ولا زالت السحب منهلة وانت لاذيالها تسحب
وروتك مني دموع تسيل تخامرها مهج تسكب

« ٥ »

الساعة

كم ساعة المنى مسها وأزعجتني يدها القاسيه
فتشت فيها جاهدا لم أجد هنيهة واحدة صافيه
وكم سقتني المر اختلها فرحت اشكوها الى التاليه
فاسلمتني هذه عنوة لساعة أخرى وبي ما بيه
ويحك يامسكين هل تشتكي جارحة الظفر الى ضاريه
حاذر من الساعات ويل لمن يأمن تلك الفئة الطاغيه
وان تجد من بينها ساعة جعبتها من غصص خاليه
فاله بها لهو الحكيم الذى لم ينسه حاضره ماضيه
وامرح كما يمرح ذو نشوة فى قلة من تحتها الهاويه
فهي وان بشت وان داعبت محتالة ختالة عاديه
عناقها خنق وتقبيلها كما تعض الحية الباغيه
هذا هو العيش فقل للذى تجرحه الساعة والثانيه
ياشاكي الساعات أسمع عسى تنجيك منها الساعة القاضيه

« ٥ »

الدواة

يادواة احملى مدادك ورداً   لوفود الاقلام حينا فحينا

وليكن كالزمان حالا وحالا   تارة اسنا وأخرى معينا

اكرمي العلم وامنحي خادميه   ماءك الغالى النفيس الثمينا

وابذلى الصافى المطهر منه   لهداة السرائر المرشدينا

واذا الظلم والظلام استعانا   يوم نحس بأجهل الجاهلينا

واستمدا من الشرور مدادا   فاجعليه من قسمه الظالمينا

واقذفى النقطة التى بات فيها   غضب القاهر المذل كمينا

ليراع امرىء اذا خط سطرا   نبذ الحق وارتضى المين دينا

واذا كان فيك نقطة سوء   كونت من خيانة تكوينا

فاجعليها اقسط الذين استباحوا   فى السياسات حرمة الاضعفينا

واذا خفت أن يكون من الصخ   ر جلاميد ترجم السامعينا

فابخلى بالمداد بخلا وان اع   طيت فيه المئين ثم المئينا

فاذا أعوز المداد طبيبا   يصف الداء دائبا مستعينا

فامنحيه المراد منا وعرفا   واستطيبي معونة المحسنينا

واذا مهجة الحمائم أسدت   نقطة سرها الزكى المصونا

فاجعليها على المودات وقفا   وهبيها رسائل الشيقينا

فاذا لم يكن بقلبك الا   ما أعد الاخلاص للمخلصينا

فاجعليه حظى لاكتب منه شرح حالي لسيد المرسلينا

« ٠ »

النزع الاكبر

غاض ماء الحياء من كل وجه فغدا كالح الجوانب قفرا
وتفشى العقوق فى الناس حتى كاد رد السلام يحسب برا
أوجه مثلما نثرت على الاجدا ث وردا ان هن أبدين بشرا
وشفاه يقلن اهلا ولوادي ن مافى الحشا لما قلن خيرا
عمرك الله هل سلام وداد ذاك أم حاول المسلم امرا
عميت عن طريقها ام تعامت امم فى مفاوز الجهل حيرى
غرها سعدها ومن عادة السعد يواتى يوما ويخذل دهرا
فتجنت على الشعوب وشنت غارة فى البلاد من بعد اخرى
نسيت فى الصعود يوم التدلى والتدلى بصاعد الجد مغري
تعب الفيلسوف فى الناس عصرا وتولى السرائر الدين عصرا
والورى طارد ازاء طريد وعقاب يمسى يطارد صقرا
وجيوش يفل من بعضها البعض وهضب كبرى تناطح صغري
حاذرى ياذئاب صولة اسد منك اقوي نابا وانفذ ظفرا
لاتنامى يااسد ان ذئابا لم تنم من روابض الغيل اضرى
عبر كلها الليالى ولكن اين من يفتح الكتاب ويقرا

انت نعم النذير يانجم « هالى » زلزل السهل والرواسى ذعرا
ظن قوم فيك الظنون وقالوا آية ارسلت الى الارض كبرى
ان يكن فى ذنبك الموت فاقذفه شواظا على الخلائق طرا
هل تلميت من لدن خاذل البا غى وحامى الضعيف يانجم سرا
المحيط بكل شيء ومرد كل حي وتارك السهل وعرا
اغداتستوى الانوف فلاينظر قوم قوما على الارض شزرا
اغدا كلنا تراب ولا ملا ك خلاف التراب برا وبحرا
اغدا يصبح الصراع عناقا فى الهيولى ويصبح العبد حرا
ان يكن كل مايقولون فاصدع بالذى قد امرت حيث عشرا

« • »

وقال يهنيء المرحوم السلطان حسين

حينما أسند اليه منصب السلطنة المصرية

اليوم آن لشاكر أن يجهرا بالشكر من نفع العقيرة فى الورى
أن الامارة لم تزل فى أهلها شماء عالية القواعد والذرى
والتاج مقصور عليهم ينتقى منهم كبيرا للعلاء فأكبرا
والعرش إن اخلاه منهم ماجد ذكر الاماجد بينهم وتخيرا
أحسين حبك فى القلوب محقق قد أظهر الاخلاص منه المضمرا
فاحرص عليه فهو ملك آخر ان شئت ما كان جنب ملك أنضرا

والملك آل اليك بحذو خطوة شوقا اليك وان أتى متأخراً
لم يعد فى مافات بابك ناسيا بل وانيا حتى يشب ويكبرا
عزى عن العباس انك عمه وأجل من ساس الامور ودبرا
وازال لوعة كل قلب بعده ان الدواء لما به بك قدرا
ياناظر الماضى وشاكر عهده والحال بين يديه أجمل منظرا
هذى الحقائق باهرات فانتبه لا يلهينك طيف ماض فى الكرى
هذا ابن اسمعيل نجم طالع لهداية السارى فحى على السرى
الملك من يمناه فى يد حازم ان أورد الأقوام وردا اصدرا
والنيل لم يبرح على العهد الذى أخذته قبل عليه ناضرة القرى
متهاديا بين البقاع مناجيا ارجاءها بالخصب يكتنف الثرى
والشرع بين الناس ناه آمر مازال حكم الله فيه موقراً
والبيت بيت محمد قد شاده لبنيه لم يستثن منهم معشرا
والعم اكبر حكمة ودراية بالأمر لو ان المكابر فكرا
حال اذا نظر الاديب جمالها شكر الاله وحقه ان يشكرا

الشعر الارتجالى

أبى الجهل الا أن يهز أريكة تقيها يد لله أن تتزعزعا
فما هز الا كل قلب مروع يجاور قلبا فى الربع مروعا
يكاد اذ الانباء رابته مرة يسيل بوادى النيل كالنيل أدمعا

ومن كاد للعباس كيدا فانما يكيد الى مصر وأحبابها معا
ومن يسع فى مصباح نور لامة ير الله حول النور والناس أجمعا.

* * *

قصيدة وجهها الى سمو الخديوى عباس يوم عيد جلوسه سنة ١٩٠٨ مهنئا اياه بالعيد وشاكرا له نعمة العفو عن المسجونين في دنشواى . وقد جاراه شوقي بقصيدة مطلعها

اما العتاب فبالأحبة اخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق

وجاراه حافظ بقصيدة مطلعها

سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبيك هم مقلق

وقد نشرت مجلة «فتاة الشرق» فى ذلك العهد فصلا لأحد الادباء وازن فيه بين القصائد الثلاث

وهذه قصيدة صبرى :

لو ان اطلال المنازل تنطق مارتد حران الجوانح شيق
هل عند ذاك السرب انا بعده فى الحى من آماقنا نتدفق
اوان اضلعنا على ما استودعت يوم الفراق من الجوى تتحرق
امنازل الاقمار اهلك اسرفوا فى النأى اسراف الغنى وباغرقوا
لو انهم قد انصفوك منازلا ماحازهم فى الكون بعدك مشرق

* * *

عيد الفداء الا سعدت بسدة ... امسى يحيط بها الجلال ويحدق
هلا رأيت بعابدين مع الملا ... ملكا خلائقه تضوع وتعبق
وجمعت من تلك الشمائل طاقة ... تزدان اياما بها وتخلق
ورجعت من نور الامير مزودا ... حتى تعود وانت زاه مشرق

* * *

أحرزت ياعباس كل فضيلة ... وبلغت شاوا فى العلا لا يلحق
من ذا يجاري اخمصيك الى مدى ... وهواك سباق وعزمك أسبق
ان يرتجل عرف فانت الى الذى ... لم يرتجله انا الكون موفق
سدد سهام الرأى بالشوري يحط ... بك منه فى ظلم الحوادث فيلق
واسبق به واضرب به وافتح به ... ماشئت من باب امامك يغلق
عوذت مجدك ان تنام وفي الحمى ... أمل عقيم أو رجاء مخفق
ولرب محل فى النهى متحكم ... قد كاد يخترم النفوس ويوبق
ارسلت فيه نظرة ضمن الحجى ... والعلم نصرتها وقلب مشفق
واخذت رأى أولى النهى مستوثقا ... مستوزرا وكذا الحكيم يدقق
حتى اهتديت الى الصواب ولم يزل ... بين الصواب وبين رأيك موثق
واهبت فابتكر النضار سحائبا ... تهمي وتفتقد المحيل وتغدق
ان امرعت تلك الموات وأورقت ... فيها الرياض فانما لك تورق

* * *

واقلت عثرة قرية حكم الهوى ... في اهلها وقضي قضاء أخرق

ان أن فيها بائس مما به | وأرن جاوبه هناك مطوق
وارحمتا لجناتهم ماذا جنوا | وقضاتهم ماعاقهم ان يتقوا
مازال يقذي كل عين ماراأوا | فيها ويؤذى كل سمع مالقوا
حتى حكمت فجاء حكمك آية | للناس طي صحيفة تتألق
نزلت ترفرف حول كاتب نصها | زمرا ملائكة الرضي وتحلق
شكرتك مصر علي سلامة بعضها | شكرا يغرب في الورى ويشرق
ذكرت لك الصفح الجميل ولم تزل | ترمى الى أمر أجل وترمق
قانون دنشاواى ذاك صحيفة | تتلي فترتاع القلوب وتخفق
هل يرتجي صفو ويهدأ خاطر | والموت حول نصوصها يترقرق
ومضاجع القوم النيام أواهل | بمعذب يردي وآخر يرهق
لن تبلغ الجرحى شفاء كاملا | مادام جارحها المهند يبرق
فاحكم بغير العنف وكسر سيفه | فالحلم اجمل والمكارم اليق

* * *

لك مصر ماضيها وحاضرها معا | ولك الغد المتحتم المتحقق
والله عونك ان ركبت الى العلا | طرقا تضل بها الهداة وتفرق
والامر أمرك لا يشاب بريبة | والحكم حكمك والاله مصدق

ياليل الصب

نشرت مجلة « الزهور » ابياتا ارتجلها أمير الشعر شوقى

يعارض فيها الابيات المشهورة التى مطلعها:

يا ليل الصب متى غده أقيام الساعة موعده

وهي لأبي الحسن الحصرى الضرير المولود فى القيروان والمتوفى فى الاندلس سنة ٤٨٨ هجريه. فقال المرحوم صبرى باشا من الوزن والروى وهى أبيات نظمت للغناء.

أقريب من دنف غده فالليل تمرد أسوده
والتفت تحت عجاجته بيض في الحي تؤيده
حرب عندي لمسعرها شوق مازلت اردده
هل من راق لصريع هوى هل من آس يتعهده
حتى م يساوره كمد يبلى الاحشاء تجدده
والى م يصارعه ألم ان هم يقوم ويقعده
فى القصر غزال تكبره غزلان الرمل وتحسده
صفرت كفى منه ومضي وقد امتلأت منى يده
كم صغت التبر له شركا وقضيت الليل أنضده
وأشاور شوقى بل أدبي هل أقصر أم أتصيده
مولاى أعيذك من ضرم لا يرحم قلبا موقده
أدرك بحياتك من رمق مابات هواك يهدده
قد بان الحب لذي عينين وهذا الشوق يؤكده

« شوقى »جود فى الشعر وقل آمنت بأنك أوحده

* * *

وقال يرثى اسماعيل بك ماهر القاضى بالمحكمة المختلطة بالاسكندرية الذي توفى في صيف سنه ١٩١٠ وكان رفيق صبرى فى المدرسة وعشير صباه :

اماهر كنت فيما مر أنسى فمن لى فى الليالى الباقيات
برغمى ان تقلص منك ظل وقانى حقبة لفح الحياة
وان نضبت خلال كنت منها أعب لديك فى عذب فرات
وان صفرت يمينى من وداد غنيت به ليالي خاليات
اخي ماحيلتى الا سلام يزورك فى المساء وفى الغداة

* * *

دمعة على بطرس غالى في أبريل سنة ١٩١٠

لهف الرياسات على راحل قد كان ملء العين والمسمع
لهف العلا قد عطلت من سنا بدر هوي من أوجها الأرفع
تبكي المروءات على بطرس ذاك الهمام الماجد الاروع
فنشبت لما لم اجد مقلتى كفوا عن الفضل ليبكى معى
فقيل لى قد سار فى اثره يوم دفناه ولم يرجع
يامجريا دمع الملا أبحرا ادركهمو يامرقىء الادمع

يانازلاً بين وفود البلا آنستهم ياموحش الاربع
عيني فيك اليوم قبطية تروى الاسى عن مسلم موجع
يهيم من وجد ومن لوعة فى الجانب الأيسر من أضلعى
ويحفظ العهد كما شاءه احمد سمحا واسع المشرع
يامن سقانى الجم من وده هذا ودادى كله فا كرع
ياحامل القلب الكبير الذى لم ينقض الميثاق قم واسمع

* * *

حرب طرابلس

نعض هذا الجفاء والعدوان راقبي الله امة الطليان
قد ملأت الفضاء غدرا وجهلا وتسنمت غارب الطغيان
وبعثت السفين ترمى طرابلس بحرب مشبوبة النيران
تخرق البحر والمواثيق والعهد جهارا وذمة الجيران
سيرتها اضغان قوم لقوم سلموا من دناءة الاضغان
من رآها تجرى توهم ان القوم هبوا للثأر للاوطان
لاورب الاسطول ماحمل الا سطول جيشا الى حمى الحبشان
ان قوم الطليان احرص من ان يفضحوا مرتين فى ميدان
ليست الحرب للعدو الذي با ت عزيزا بالرجال والفرسان
انما الحرب للأولى حفظوا العهـ ـد فنامت جيرانهم فى أمان

واباحوا ابوابهم حاتميات   لمن امهم من الضيفان
وانا لوهمو حقـوق بنيهم   فعل أهـل المعروف باللهفان
ويحهم مالصنعهم ابطر القو   م فعقوا ما كان من احسان
ولماذا تمخض السلم عن حرب   لظاها يشوى الوجوه عوانى
منح قـد بذرن في شرايد   كن مذ كن منبت الـكفران
هـكذا فلتك المروءات فى عص   ر البهاليل من بنى الرومان
لايثق بعضنا ببعض وهـذا   ماعـد الانسان الانسان
ان تسلم على القريب فسلم   فى ظـلال السيوف والمران
ربما اصبح العناق صراعا   في زمان الآداب والعرفان

* * *

قصيـــــــدة

القيت فى ٤ يونيو سـنة ١٩١٤ فى فندق (شبرد) فى حفلة تكريم (حضرة واصف بك بطرس عالى) لما قام به من ترجمة الشـعر العربى الى اللغة الفرنسـية ترجمة صادقة الـكتاب دعاه (روض الازهار)

وكانت حفـلة التـكريم تحت رعاية حضرة صاحب السمو الخديوى السـابق عباس الثانى وأناب عنـه فى الحضور رئيس الديوان العـالى الملـكي صاحب السعادة عثمان باشا مرتضى.

وكانت الحفلة برئاسة الفقيد اسماعيل باشا صبرى بصفته رئيساً لزعماء الأدب

أى صوت حيته بالامس باريس مقر العلوم والعلماء
من ترى ذلك الذى جملته حكمة الشيب فى ربيع الفتاء
ذلك الاسمر الذى بهر البيض مطلامن منبر الخطباء
وأماط اللثام عن أدب العرب كرام الآباء والابناء
بلسان ما اعتادمن قبل أن يخضع الا لأهله من اباء

***

ياسجل الخلود افسح مجالا لاسمه فى صحيفة الفضلاء
وأر الاعصر الاواتى ان الذكر عمر محجل الاناء
ذاك صوت ابن بطرس قدعرفناه بما هاجه من الاصداء
ألق بالسمع تستخفك منه نغمة لم تكن لغير الوفاء
ذاك نجم أطلعته يامصر فقرى بنجمك الوضاء
واحليه حيث تفتقد البدر عيون السراة فى الظلماء
كم له دون بيضة الشرق من غضبة حر وكم له من بلاء
كم له من مواقف هز عطف الـحق فيها بالحجة البيضاء

* * *

ايه يا ابن الامجاد قمت بأعباء كبار والمجد ذو أعباء

وأريت الانام بر ذوى القر بى ورأى الكريم فى الكرماء
فاستمع مايقال حولك ياواصف ذا اليوم من ضروب الثناء
ان من طيب الثناء لزهرا تجتنيه مسامع الاكفاء

وقال يرثي اسماعيل بك نجيب نجل صديقه
المرحوم ابراهيم باشا نجيب

الا يا تجار العصر هل فيكم امرؤ يبيع على صرعى الهموم عزاء
اذا دلني منكم على مثله فتى خلعت عليه مايشاء جزاء
ففي الحي قوم عاكفون على لظي تذيبهم البلوى صباح مساء
يخالهم الرائي سكارى من الاسى فيبكى عليهم رحمة ووفاء
لوان قلوب الناس طوع ارادتي قلبت الاسى فى بعضهن هناء
ولو طاوعتنى كل عين قريحة لما ذاب بعض الثاكلين بكاء
وعالجت ابراهيم مما اصابه وداهمه حتى ينال شفاء
مصابك اسماعيل زعزع شامخا وضعضع طودا راسيا وأساء
واودى بامال كبار تصرمت برغم ذويك البائسين هباء
على قبرك المطور منى تحية فقد ضم غصنا ناضرا وفتاء

* * *

بين الجد والفكاهة

استقالت وزارة مصطفى فهمى فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٠٨ :

وتألفت فى اليوم التالى وزارة بطرس غالى وأعضاؤهـا سعد بالمعارف ، ورشدى بالحقانيه ، وسعيد بالداخليه ، وصبرى بالاشغال والحربية والبحرية ، وحشمت بالماليـة بدلا من فخرى . وعين خليل باشا حماد وزيرا للاوقاف . وقد نشر اسماعيل باشا صبري على اثر ذلك بامضاء بنتاؤور مقطوعات كثيرة رسم فيها صورة لكل وزير قديم أو جديد ونشرتها جريدة الاهرام فى ايام مختلفة وانا نختار منها ماياتي

وكلة الداخلية

ماهر السلطة فى مصر لهـا صور تسبي البرايا زاهـيه
فاز بالاولى سعيد اذ جرى وتباطأت فخرت التاليه
لو تسرعت ووسعت الخطى نلت اولاها ونال الثانيـه

النيابة العمومية

قد ألفت عصب اللصوص محاكما فى كل قسم
ورموك « ثروت » بالنباهـة كلها وبكل علم
والعلم في الحكام عند الجاهلين اجل جرم
فاحذرهم ان سرت فيهم ، سيرة اليقظ الاثم
عوفيت من قوم اذا فدروا خلوا من كل حلم

في جوف الحيتان

اين صبري من يذكر اليوم صبري بعد اعوام عزله وشهوره
اسألوا الشعر فهو اعلم هلا اكلته الاسماك طي بحوره

فى المعاش

قلت ياصالح التق دا ولك في جملة الدلا
قال دعنى كما اشا احكم اليوم فى الملا

ارتين باشا

الافاعذرونى ان قنعت من الورى بما حزت من فخر وما نلتُ من رتب
فما عن قلى فارقت سعدا وانما تفرغت بين الناس للعلم والادب

شكور باشا

اين شكور هل العلا ياء فى جب نفته
اكلته البيرة اليوم ترى أم شربته

سابا باشا

اين سابا اين سابا ياترى اين سابا ذو المزايا الباهره
قال لى قوم ثقات انهم لحوه في مياه القاهره

اسكندر باشا فهمى

اصلب انت قال لى حار أمرى اذا فكرت فيك وضاع حدسى
خرجت من الشريط ولم تهشم كانك خارج من بيت عرس

الى الامير عمر باشا طوسن
بمناسبة اعانته جرحي الحرب البلقانيه

لك الامارة والاقوام مابرحت بكل عالى الذرى فى الكون تأتمر

لو لم ترثها لمـا ألقت اعنتها الا اليك خلال كلها غرر

يابن الاولى لو اطلوا من مضاجعهم يوما عليك لقالوا : ايه ياعمر

اعدت ايامهم في مصر ثانيـة حتى توهم قوم انهم نشروا

وسرت سيرتهم حتى كأنهم اذا خطرت بارض مرة خطروا

لله درك كم نبهت من همم تثنى علي أهلها الآمال والبكر

وكم تعهدت جرحى من أسود وغى

أن يكشر الدهر عن احداثه كشروا

مستنجدا من بنى مصر الى شمم اذا رأوا ثلمة في حوضهم جبروا

مستهميا هاميا والنيل فى وجل من ان تجود به ايمانكم حذر

حتى تفاهمت الارواح وادكرت ما بينها الاهل والخلان والاسر

وآذن البر بالسقيا وما فتئت منهم ومنك صنوف البر تنتظر

وحركت كل كف بالندى يقة حتى تعجبت الانهار والغدر

والناس ان قام يستسقى الكريم لهم

سحائب الفضل بشرهم فقد مطروا

يأبى علاء سعيد ان يشابهه الا ابن دوحته ان قام يفتخر

ماوال يحمده رثيت مذكراً والاصل بالفرع انحا كاه يذكر

ذكر الشباب

تمسى تذكرنا الشباب وعهده حسناء مرهفة القوام فنذكر
هيفاء أسكرها الجمال وبعض ما اوفى على قدر الكفاية يسكر
تثب القلوب الى الرؤوس اذا بدت
وتطل من حدق العيون وتنظر
وتبيت تكفر بنحور قلائد فاذا دنت من نحرها تستغفر
وتزيد فى ثمن اللآلى قيمة حتى يسود كبيرهن الأصغر

ساعة الوداع

اترى. نت خذلي ساعة التو ديع بالقلب فى غد أم نصيري
ويك. قل لى متى اراك بجنبي راضيا عن مكانك المهجور
ساعة البين قصمة انت قدت المحبين من عذاب السعير
لاتحيني روحى الهـ..اء نحيك غدا فى صحيفة المقدور

عيد بلا ثمن

يامن دد قؤدى اذ تما سكه
ما بقى نارين من شوق ومن شجن
تغديك أعين قوم حولك ازدحمت
عطشي الى نهلة من وجهك الحسن

جردت كل مليح من ملاحته ... لم تتق الله فى ظبى ولا غصن
فاستبق للبدر بين الشهب رتبته ... تملكه فى أوجه عبدا بلا ثمن

* * *

وقال رحمه الله حين بعث شوقى بك الى الكاتب الكبير الاستاذ داود بركات رئيس تحرير الاهرام بيتين وطلب اليه عرضهما على الفقيد ليبدى رأيه فيهما . فلما عرضهما عليه جادت قريحته بثلاثة أبيات فى معنى بيتى شوقى بك ثم بتحية منه .

بيتا شوقي بك

ياساري البرق يرمى عن جوانحنا ... بعد الهدوء ويرمى عن مآقينا
ترقرق الماء فى دمع السماء دما
غاض الأسي فخضبنا الارض باكينا

* * *

جواب صبري باشا

ياوامض البرق كم نبهت من شجن ... فى اضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماء فى مقل والنار فى مهج ... قد حار بينهما امر المحبينا
لولا تذكر ايام لنا سلفت ... مابات يبكي دما في الحي باكينا
ياآل ودى عودوا لاعدمتكم ... وشاهدوا ويحكم فعل النوي فينا
يانسمة ضمخت اذيالها سحرا ... ازهار اندلس هبي بوادينا

بين صبري والشريف الرضي سمع بيتي الشريف الرضي وهما .

أرى بعد ورد الماء في القلب غله اليك على أني من الماء ناقع
واني لأقوى ما اكون طماعة اذا كذبت فيك المنى والمطامع

فقال رحمه الله مجاراة له :

ياموردا كنت اغنى ما اكون به عن كل صاف اذا ماابت يروينى
عندي لمائك والاقداح طوع يدى
ملاى من الماء شوق كاد يردينى

***

اقصر فؤادي فما الذكرى بنافعة ولا بشافعة فى ردما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا
هلا اخذت لهذا اليوم اهبته من قبل ان تصبح الاشواق اشجانا
لهفي عليك قضيت العمر مقتحما فى الوصل نارا وفى الهجران نيرانا

وكتب على صورة (انور) ابن سليم سركيس

هذا شبابك ياسليم تزينه تلك الخلال العز والاخلاق
حاكاك انور مثلما حاكيته فيما مضى فتبارك الخلاق
انت الذى علمته نقل الخطى وأريته أن الحياة سباق



ذيـــــل

ننشر في هذا الباب ماوصل الى يدنا من مراثي الشعراء والادباء

العوامل الشعرية فى نظم صبرى باشا

كلمة الأستاذ انطون الجميل افندى

قال بعد التمهيد

١

لكل أديب بوجه عام ، ولكل شاعر بوجه خاص ، فكرة أساسية تتجلى فى كل ما تولده قريحته، فهى كالمركز المغنطيسي تتجه اليها سائر أفكاره، أو كمركز الدائرة تتشعب منها جميع الاشعة . وهذا ما اسميه العامل الشعرى فى ما نظمه اسماعيل صبري

فاذا راجعتم منظوماته — وكل منكم يروى منها الشيء الكثير — تجدون فيها فكرات ثلاثا كانت العلة الموجدة لها ، وهى : الحس أو الشعور — والحكمة — والحماسة

تجلت الفكرة الاولى فى ما نظمه فى الحب . والثانية فى ما نظمه فى الموت . والثالثة فى ما نظمه فى الوطن

الحبّ . والموت . والوطن : هذه هى العوامل الثلاثة التي كانت تحرك فيه الشعور الفياض ، وتنطقه بالحكمة الرائعة، وتثير في صدره الحماسة الشريفة

الحب هو أقوى العواطف وأقربها الى القلوب ، بل يقول الفلاسفة

انه أساس كل عاطفة حتى البغض . لان بغضك الشيء هو حبك نقيضه .
ولقد كانت هذه العاطفة العامل الاكبر فى شاعرية هذا الشاعر الفذ، فاوحت اليه بالابيات الخالدة التى سوف يتمثل بها الناس ، لانها كانت فى صدره عاطفة قوية راسخة خالصة من كل الشوائب ، بل كانت شاملة لكل ما تنطوى عليه من المعانى الكثيرة من المحبة الى الوداد الى الاخلاص الى الوفاء
كانت تلك العاطفة غراما شريفا فى قوله .

ياشوق رفقا باضلاع عصفت بها   فالقلب يخفق ذعرا فى حناياها

وكانت تمثل الذكريات العذبة في قوله .

تمسى تذكرنا الشباب وعهده   هيفاء مرهفة القوام فنذكر
تثب القلوب الى الرؤوس اذا بدت   وتطل من حدق العيون وتنظر

كما كانت الذكرى المؤلمة حين يقول .

اقصر فؤادى فما الذكرى بنافعة   ولا بشافعة فى رد ما كانا
سلا الفؤاد الذى شاطرته زمنا   حمل الصبابة فاخفق وحدك الآنا

وكانت تذكيرا وعتابا ، وهو ابلغ من ذكر فذكر .

هل عند ذاك السرب أنا بعده   فى الحى من اماقنا نتدفق
أو ان أضلعنا على ما استودعت   يوم الفراق من الجوى تتدفق

وكانت ودادا خالصا يوم قال .

يامن سقانى الجم من وده   هذا ودادى كله فاجرع

وكانت الوفاء كل الوفاء فى هذين البيتين المشهورين .

اذا خانى خل قديم وعقنى   وفوقت يوما فى مقاتله سهمى
تعرض طيف الود بينى وبينه   فكسر سهمى فانثنيت ولم ارم

وفي هذين البيتين رواية تمثيلية ذات خمسة فصول . الفصل الاول

الصداقة ، والثانى الخيانة والعقوق « اذا خانني خل قديم وعقنى » والفصل الثالث النهوض للانتقام « وفوقت يوما فى مقاتله سهمى » والفصل الرابع النزاع بين الصداقة والانتقام «تعرض طيف الود بينى وبينـه » والفصل الخامس انتصار الوداد «فـكسر سهمى فانثنيت ولم أرم »

وهو فى كل مظاهر هذه العاطفة يعبر عن شعور حى ووجدان صحيح لا كلفة فيه ولا تصنع حتى لتتغلغل ذرات معانيه ودقائق افكاره فى ذرات قلبك ودقائق فكرك فتمتزج بنفسك فاذا بك وقد أصبحت وامسيت وأنت تردد هذه الاشعار ، وقد نسيت الشاعر ، لانها تمثل حالة من حالاتك النفسية

أما العامل الثانى في شعر صبرى بعد الحب فهو الموت. قال لاروشفوكو. « شيئان لا يستطيع الانسان ان يحدق اليهما ببصره . الشمس والموت » أما صبرى باشا فقد حدق الى الموت مرارا فنظم فيه كثيرا واستوحاه الحكمة الرائعة حتى انى لا أعرف شاعرا عصريا نظم في هذا الموضوع أكثر من الفقيد

حدق الى الموت بكلتا عينيه فكان تارة ينظر اليه قلقا وجلا فيقول .

اتزودت من ضياء البدور لليال كثيفة الديجور

وتارة ينظر اليه مرحبا مطمئنا فيقول ·

ياموت خذ ما ابقت اا الايام والساعات منى
بينى وبينك خطوة ان تخطها فرجت عني

أو ينشد والحكمة تطل من كل شطر .

لا تخف فالممات ليس بماح منك الاما تشتكى من عذاب
وحياة المرء اغتراب فان ما ت فقد عاد سالما للتراب

ولقد رسمت هذه العاطفة المزدوجة تلك الابتسامة الحزينة على محياه حتى تخالها زفرة وقفت عند شفتيه ودمعة جمدت في عينيه

أما العامل الثالث فهو الحماسة وقد تجلت فيما نظمه في مصر وعرش مصر ورجال مصر ومفاخر مصر

مستنجداً من بني مصر اولى شمم اذا رأوا ثلمة في حوضهم جبروا

كان يغار على وحدة هذا الوطن العزيز، وينادى بتكاتف أبنائه لا فرق فى العقيدة والمذهب، وله من هذا القبيل الابيات الشائقة أذكر منها هذين البيتين من قصيدة رثى بها عظيما من عظماء الاقباط.

عيني فيك اليوم قبطية تروى الاسى عن مسلم موجع
ويأخذ البر وآي الوفا عن الكتاب الطيب المشرع

أما قصيدة «فرعون وقومه» فجديرة بان تدرس فى جميع المدارس. فقد وصفت آثار مصر ومفاخر المصريين وصفا تتمشى العظمة في جميع اجزائه ولا يتمالك من يقراها عن هزة اعجاب تدفعه الى السير على آثار الاجداد فى تطلاب العلى

أيها السادة

اذا كان قول الفرنجة «ان الانشاء هو الرجل» صحيحا فان القول «ان الشعر هو الشاعر» أصح

نشر سعادة عثمان مرتضي باشا كلمة عن الفقيد استوقفتني فيها هذه الجملة: «كان من أهم مميزاته ثلاث. حبه للحق، وحبه للصراحة، وحبه للكرامة»

استوقفتني هذه الجملة لانى وجدت في هذه الميزات الثلاث، العوامل الشعرية الثلاثة التي ذكرتها. فكان صبرى الرجل كصبري الشاعر

امتاز الرجل فى حياته بحب الصراحة كما امتاز الشاعر فى شعره بالشعور. وهل الصراحة غير النطق عن شعور؟ فنظم فى الحب، والحب أصدق عاطفة

وامتار الرجل بحب الحق كما امتاز الشاعر بالحكمة ـ وهل الحكمة غير حب الحقيقة ؟ ـ فنظم في الموت ، والموت ابلغ حقيقة

وامتاز الرجل بحب الكرامة كما امتاز بالحماسة .والرجل الابى يغار على كرامته . فنظم في الوطن ، والوطن اشرف ما يتحمس له المرء اذا غار على كرامته .

هذه العوامل الثلاثة التي انطقته بالشعر . وهى اذا رسخ عامل واحد منها في صدر الانسان صيره شاعرا فكيف اذا اجتمعت الثلاثة لواحد

ـ ٢ ـ

أما اثر تلك العوامل فى شعره فكان الاثر الطيب فانها اكسبته من روعة المعانى ورقه العواطف جمالا زاد مناه حسن الديباجة وفصاحة اللفظ فكانت السلاسة والعذوبة والانسجام وسلامة الذوق من العوامل اللفظية في مانظمه من القصائد التي يتناشدها ادباء مصر ولبنان والشام والعراق وفى ماوضعه من الاغانى التي يتغنى بها الشعب فى مجالس الانس والطرب

ماذا أقول فى شعر صبرى وقد قال قبلى غير واحد . قرظه المعجبون به ـ وكثيرا ماهم ـ بكل كلام مليح . فكنا نجد كل تقريظ ينطبق عليه ولم نجد تقريظا يفوق مقامه . فشعر صبرى اشبه شيء بالنقد الذهبي يحفظ قيمته فى كل زمان ومكان اذا ما كان سائر الشعر ، كسائر النقد ، عرضة للرواج حينا وللكساد حينا

ذلك ان صبرى ، كامرىء القيس ، لم يقل الشعر راغبا ولا راهبا . وانما كان يقوله عن عاطفة تختلج في صدره كقطرة الندى فيصوغها باللفظ كاللؤلؤة الصافية

كانت القوافى تجول فى خاطره فتصغى اذنه لحفيفها فيوقع نغمها ايقاعا

شائها

لم يكن مزهره كثير الاوتار ، بل كان يضرب على وترين أو ثلاثة، كما رأينا ، فيستخرج منها نغما شجيا بعيد القرار ، يصدر من خفقة فؤاد ، فينتقل متاوجا حتى يستقر فى ثنايا الفؤاد ، كالموجة تقذف بها لجة البحر وتتكسر متلاشية على ساحل البحر

واذا ما ذكر اليوم اسم صبرى في عالم الادب وجدناه ـ كالشمس التى تترك وراءها شفقا ذهبيا ـ تاركا اشعة من رواء المعنى وصفاء المبنى . ولكن نوره لا يبهرك ولا يؤذي عينيك بل يهبط عليك على مهل فيشملك بهالة من اللمعان . لذلك لا نجد فى شعره ماقد نجده في شعر غيره من التعب والعناء لانه ماتكلف نظم الشعر بل كان كلما هزته عاطفة يجود بمقطوعة ربما لاتتجاوز البيتين ، كالشجرة الناضجة الثمر تسقط ثمرة كلما هزها الهواء

الماسة الصافية الماء ، الطاهرة اللألاء السليمة من كل كدرة وعيب ، ينسينا جمالها عناء من قطعها وصقلها . وكذلك شعر صبرى . نقف عند جماله ناسين الشاعر وما لقى من عناء فى تصفية شعره وتخليص نظمه من كل شائبة

تلك الاشعار السهلة كان يصوغها بصعوبة فكان جهاده الشعرى طويلا شاقا ، وهو يجد قوته فى تجديد مجهوده . كان يستحث فنه دائما للاستزادة من الاتقان وجمال الفن . وهذا سر عظمة المفتن : فانه يدرك المجد والرفعة ويفوز برضى الناس ولكنه لا ينعم برضى نفسه ، ولا يفوز بارتياح خاطره. كان الجميع يرضون عن شعر صبرى الاصبرى . فكان لا يزال يحور ويغير ، ويقدم ويؤخر ، وهو متعطش الى مثل أعلى لم يدركه حتى كانه

يقول : « ان اجمل شعرى لا يزال فى صدرى ،لم اتمكن من نظمه حتى الآن»
هكذا عرفته حتى كانت الحرب الكبرى فانزلت حجابا كثيفا على تلك القريحة اللامعة ولا عجب ففرقعة السلاح تسكت همهمة القوافى ودوى المدافع يغلب روى الشعر

ثم ادركته الشيخوخة على تلك الحالة فانقطع عن النظم ولكن مجلسه ظل مجلس ادب وعلم ، وما لقيناه مرة الا سالنا : (هل من شعر جديد في البلد ؟) وهكذا كبار القواد متى احيلوا الى الاستيداع يرتاحون الى احاديث المواقع التى يضع غيرهم خططها و نظامها

أما الآن وقد انطفأ فيه نورُ الحياة فقد انطفأ ولا شك سراج وهاج فى هيكل الشعر وغاب كوكب ساطع من سماء الادب

واذا ماذ كرنا اليوم أدبه وعبقريته واستمطرنا الرحمات عليه، فجدير بنا أن نتلو على قبره تلك الصلاة الجميلة التي نظمها فى حياته . فان فى وسع كل مخلوق أيا كان دينه ان يناجى بها خالقه :

يارب ؟ اين ترى تقام جهنم	للظالمين غدا وللاشرار
لم يبق عفوك فى السموات العلى	والارض شبرا خاليا للنار
يارب : اهلني لفضلك واكفني	شطط العقول وفتنة الافكار
ومر الوجود يشف عنك، لكى أرى	غضب اللطيف ورحمة الجبار
ياعالم الاسرار ، حسبي محنة	علمى بانك عالم الاسرار
أخلق برحمتك التي تسع الوري	الا تضيق باعظم الاوزار

ننشر القصائد الآتية بحسب ترتيب القائها:

قصيدة شوقي

أجل وان طال الزمان موافي ... أخلى يديك من الخليل الوافي
داع الى حق أهاب بخاشع ... لبس النذير على هدى وعفاف
ذهب الشباب فلم يكن رزئي به ... دون المصاب بصفوة الألاف
جلل من الأرزاء في أمثاله ... همم العزاء قليلة الاسعاف
خفت له العبرات وهي أبية ... في حادثات الدهر غير خفاف
ولكل ما أتلفت من مستكرم ... الا مودات الرجال تلافي
ما أنت يا دنيا أرؤيا نائم ... م ليل عرس أم بساط سلاف
نعماؤك الريحان الا أنه ... مست حواشيه نميع زعاف
مازلت أصحب فيك خلقاً ثابتاً ... حتى ظفرت بخلقك المتنافي

***

ذهب الذبيح السمح مثل سميه ... طهر المكفن طيب الالفاف
كم بات يذبح صدره لشكاته ... أتراه تحسبها من الاضياف
نزلت على سحر السماح ونحره ... وتقلبت في أكرم الاكناف
لجت على الصدر الرحيب وبرحت ... بالكاظم الغيظ الصفوح العافي
ما كان أقسى قلبها من علة ... علقت بأرحم حبة وشغاف
قلب لو انتظم القلوب حنانه ... لم يبق قاس في الجوانح جافي
حتى رماه بالمنيـة فانجلت ... من يبتلي بقضائه ويعافي
أخنت على الفلك المدار فلم يدر ... وعلى العباب فقر في الرجاف
ومضت بنار العبقرية لم تدع ... غير الرماد ودارسات أثافي

حملوا على الأكتاف نور جلالة | يذر العيون حواسد الأكتاف
وتقلدوا النعش الكريم يتيمة | ولكم نعوش في الرقاب زياف
متمايل الاعواد مما مس من | كرم ومما ضم من أعطاف
واذا جلال الموت وافى سابغ | واذا جلال العبقرية ضافي
ويح الشباب وقد تخطر بينهم | هل متعوا بتمسح وطواف
لو عاش قدوتهم ورب «لوائهم» | نكس «اللواء» لثابت وقاف
فلكم سقاه الود حين وداده | جرب لأهل الحكم والاشراف
لا يوم للاقوام حتى ينهضوا | بقوادم من أمسهم وخوافي

.:.

لا يعجبنك ماترى من قبة | ضربوا على موتاهمو وطراف
هجموا على الحق المبين بباطل | وعلى سبيل القصد بالاسراف
يبنون دار الله كيف بدا لهم | غرفات مثر أو سقيفة عافي
ويزورون قبورهم كقصورهم | والارض تضحك والرفات السافي

.:.

فجعت ربى الوادي بواحد أيكها | وتجرعت ثكل الغدير الصافي
فقدت بناناً كالربيع مجيدة | وشي الرياض وصنعة الافواف (١)
ان فاته نسب «الرضى» فربما | جريا لغاية سؤدد وطراف
أو كان دون «أبي الرضى» أبوة | فلقد أعاد بيان «عبد مناف»
شرف العصاميين صنع نفوسهم | من ذا يقيس بهم بني الاشراف
قل للمشير الى أبيه وجده | أعلمت للقمرين من أسلاف

(١) الافواف . الحرير

لوان عمرانا(١) نجارك لم تسد   حتى يشار اليك فى الاعراف (٢)

∴

قاضى القضاة جرت عليه قضية   للموت ليس لها من استئناف
ومصرف الاحكام موكول الى   حكم المنية ما له من كافي
ومنادم الاملاك تحت قبابهم   أمسى تنادمه ذئاب فيافي
فى منزل دارب على الصيد العلا   فيه الرحى ومشت على الارداف (٣)
وأذيل من حسن الوجوه وعزها   ما كان يعبد من وراء سجاف
من كل لماح النعيم تقلبت   ديباجتاه على بلى وجفاف
وترى الجماجم فى التراب تماثلت   بعد العقول تماثل الاصداف
وترى العيون القاتلات بنظرة   منهوبة الاجفان والاسياف
وتراع من ضحك الثغور وطالما   فتنت بحلو تبسم وهتاف
غزت القرون الذاهبين غزالة   دمهم بذمة قرنها الرعاف
يجري القضاء بها ويجرى الدهر عن   يدها فيا لثلاثة أحلاف
ترمي البرية بالحبول وتارة   بحبائل من خيطها وكفاف
نسجت ثلاث عمائم (٤) واستحدثت
أكفان موتى من ثياب زفاف

∴

« أأبا الحسين » تحية لتراك من   روح وريحان وعذب نطاف

(١) عمران . أبو موسى عليه السلام (٢) الاعراف . الصورة الشريفة
(٣) الارداف . ندماء الملك (٤) ثلاث عمائم . الشعر الاسود ،
والاسود فيه شيب ، والابيض

وسلام أهل وله وصحابة حسرى على تلك الخلال لهاف
هل فى يدى سوى قريض خالد أزجيه بين يديك للاتحاف
ماكان أكرمه عليك فهل ترى أنى بعثت بأكرما لالطاف
هذا هو الريحان الا أنه نفحات تلك الروضة المئناف
والدر الا ان مهد يتيمه بالامس لجة بحرك القذاف
أيام أمرح فى غبارك ناشئاً
نهج المهار (١) على غبار «خصاف» (٢)
أتعلم الغايات كيف ترام فى مضمار فضل أو مجال قواف

∴

ياراكب الحدباء خل زمامها ليس السبيل على الدليل بخاف
دان المطي الناس غير مطية للحق لاعجلى ولا ميجاف (٣)
لافي الجياد ولا النياق وانما خلقت بغير حوافر وخفاف
تنتاب بالركبان منزل الهدى وتؤم دار الحق والانصاف
قد بلغت رب المدائن (٤) وانتهت
حيث انتهيت بصاحب الاحقاف (٥)
نم ملء جفنك فالغدو غوافل عما يروعك والعشى غوافي
فى مضجع يكفيك من حسناته أن ليس جنبك عنه بالمتجافي
واضحك من الاقدار غير معجز فاليوم لست لها من الاهداف

(١) المهار . جمع مهر (٢) خصاف . فرس مشهور في العرب
(٣) ميجاف . الناقة السريعة (٤) رب المدائن . كسرى
(٥) صاحب الاحقاف : عاد

والموت كنت تخافه بك ظافراً   حتى ظفرت به فدعه كفاف
قل لي بسابقة الوداد أقاتل   هو حين ينزل بالفتى أم شافي
في الارض من أبويك كنز ارحمة   وهوى وذلك من جوار كافي
وبها شبابك واللدات بكيته   ويبكيتهم بالمدمع الذراف
فاذهب كمصاح السماء كلا كما   مال النهار به وليس بطافي
الشمس تخلف بالنجوم وأنت بالآ   ثار والاخبار والاوصاف
غلب الحياة فتى يسد مكانها   بالذكر فهو لها بديل وافي

***

قصيدة مطران

شهب تبين فما تؤوب   فكأنه حبب يذوب
أرأيت فى كأس الطلى   درزاً وقد صعدت تصوب
هو ذاك في لج الدجى   طفو الدراريء والرسوب
لا فرق بين كبيرها   وصغيرها فيما ينوب
كل الى اجل وعقبي   كل طالعة وقوب

***

اليوم نجم من نجوم   الشعر أدركه الغروب
وثبت به في أوجه   الاسنى فغالته شعوب
أني الحقيقة شاعر   ما غره الوهم الكذوب
أوفى على عدن وما   هو عن محاسنها غريب
كم بات يشهدها وقد   شفت له عنها الغيوب

***

يخطب اسماعيل صبري   ليس تبلغك الخطوب

جزع الحي لنعيه وبكاه شبان وشيب
واجتاز بحرا من دموع الخلق مشهده الرهيب
أي صاحبي لقد قضى أستاذنا البر الحبيب
فعرا قلادتنا :— وكانت زينة الدنيا — شحوب
اني لأ ذكر والاسى بين الضلوع له شبوب
عهداً به ضمت فؤاداً واحدا منا الجنوب
اذ بعضنا من غير ما نسب الى بعض نسيب
وبغير قربى بيننا كل الى كل قريب
الشعر الفنا فما اختلف العريق ولا الجنيب
والفن يأبى ان تفرقه المواطن والشعوب
مستشرف لا السلم طلاع اليه ولا الحروب
يضفي به الضوء الهلال ويبسط الظل الصليب
لو دام ذاك العهد..لكن هل ليوم رضى عقيب

***

يامصر قام العذر ان يقلق مضاجعك الوجيب
وعلى فقيد كالذي تبكين فليكن النحيب
مات الأديب وانه في كل معنى للأديب
مات المحامي عن ذمارك مات قاضيك الأريب
مات الأبي وتحت لين قوله الرأي الصليب
مات الذي تدعوه داعية الولاء فيستجيب
مات الذي ماكان مشهده يذم ولا المغيب
مات الذي ماكان في أخلاقه شيء يريب

مات الذي منظ ومه   لأولي النهى سحر خلوب
الضـــارب الامثال ليد   س له بروعتها ضريب
هـل فى الجـديد كقوله   المأثور والمعنى جليب
« آهان لو عرف الشباب   وآه لو قـــدر المشيب»

***

شـــعر عـلى الأيام   يرويه مردده الطروب
وكأنمـا في أذن قارئـــه   يغـــنى عنـد ليب
كـل المعـانى معجب   ما شـاء والمبنى عجيب
ناهيـك بالالفاظ ممـــا   جـــود اللبق اللبيب
كالدر مكن فى العـقود   وللشـــعاع به وثوب
ديباجـــة كادق ما نسـ   جت شمال أو جنـوب
فيهـا حلي جـد الفواتن   وشـــيها واش لعوب
آيات حسن كلهـا   صفو وليس بها مشوب
فى رقـة النسمات   بالعبق الذكي لهـا هبوب
تســـتافها رأد الضحى   ويظلك الوادي الخصيب
في بهجـــة الزهرات   باكرهن مدرار سكوب
فاللحظ يشرب والنـدى   مشمولة والـكم سكوب

∴

كنسيبه الاخاذ بالالباب فليكن النسيب
وكمدحه المـــدح الذي   أبدا له ثوب قشيب
وكوصفه الوصف الذي   عن روئية الرائى ينـوب
يتناول الغرض البعيـــد   اذا البعيـد هو القريب

أو يبرز الخلق السوي فللحياة به دبيب
كل يصادف من هوا ه عنده ما يستطيب
فكان ما تجري خوا طره به تجري القلوب

..

لله صبري وهو للغـــــة التي انتهكت غضوب
بالرفق « ينقد » ما يزيـ ـف المخطئون ولا « يعيب »
في رايه « اللغة البلاد » أجل هو الرأي المصيب
يودي الفصيح من اللغات اذا غفا عنه الرقيب

..

أفديك فارقت الحيـــــاة وغيرك الجزع الكئيب
جارت عليك فضاق عن سعة بها الذرع الرحيب
تلك الحيـاة وما بها الا لاهل الخبث طيب
كم بت في سهد وأنت لغاية شـقت طلوب
جواب آفاق المعارف والاسى فيها يجوب
حتى تحصل ما تحصل من فنون لا تثيب
وجزاء كدك ذلك الداء الدوى به تشـوب

***

الكاتب العربي مهما يدهه فله الذنوب
ان لم يصـب مالا وكيف وتلك بيئته يصيب
فالفضـل منقصة له وخـلاله الحسني عيـوب
ويعر بالعيش الكريم وما له منه نصيب
فاذا قنى مالا كما يقنى لعقباه الحسيب

حذر المهانات التى متقدموه بها اصيبوا
اقني بجهوديه قوته وارداه اللغـــوب

* * *

قتلا بنفث دم قتلت وعج مرقدك الخضيب
حتى آتي اليوم المنجى واسمه اليوم العصيب
فسوت فيه الموت نخبا ليس تعقبه نخوب
وبحق من كنت المنيب اليـه يانعم المنيب
لاخف من بعض المقالة ذلك المـوت الحزيب
اعني مقالة كاشـح فى قدرك اعالى يريب
ممن يهش كما تثاءب وهوطاوى الكشح ذيب
شر الانام الباسـمون وفى جـوانحهم لهيب
المدعون «البحث» حين القصدمنهم ان«يغيبوا»
متنقصـو محسودهم وله التجـلة والرجوب
فئة تنـال من الفتى ما لم تنل منه الكروب
لفخـاره تأسي كأن فخـاره منهـا سـليب
قالت لتضليل العقول وليس كالتضليل حوب
«صبري مقل ورده عذب وآفتـه النضـوب»
اخبث بما اخفوا وظاهر قصدهم عطف وحوب
ما الشعر ياأهل النهي والذكر ديوان رغيب
من يسال الحصرى وابن ذريق فاسـمهما يجيب
ازهى وابهى الورد لايأتى به الدغل العشيب
ماذا أجاد سوى القليل أبو عبادة أو حبيب

لو طلق اسـيع انعيب ايطرب السمع النعـب
أ . لم يطل شدو — وشاديه الهزار — اما يطيب
الشـعر تلبية القوافى والشـعور بها مهيب
وبه من الايقاع ضرب لا تحاكيه الضروب
هو محض موسيقى وحسـ ات تصورها الضروب
هو نوح ساقية شـكت لاقدر مايحوى القليب
هو مابكاه القلب لا معيار ماجرت الغروب
هوانة وتسيـيل من جـرائها نفس صبيب

***

عمدوا اليك وأنت ميت ذاك باسهم الغـ يب
ولقـد تراهم ساخرا منهم واشجعهم نخيب
خالوا رداك اباحة خابوا ومثلهم يخيب

...

فاذهب ابا الشعراء نخرك ليس ضائر الذهوب
أمابنوك فعند ظن النبل ابرار ندوب
نم عنهمو ومقالك العالى وجانبـك المهيب
لك فى النهى بعد النوى شفق ولكن لا يغيب

قصيدة حافظ

نعاك النعاة وحم القـدر ولم يغن عنا وعنك الحذر
طوت (ذبحة الصدر) صدر النـد ى فلم تطو الا سجل العبر
فأمسيت تذكر في الغابرين وان قل مثلك فيمن غبر
اذا ذكرت سير النابهين فسيرة (صبري) تجب السير

لقد كنت برأيظل الشباب فلما تقلص كنت الابر
فلم تستبق نزوة في الصبا ولم تستبح عفوة في الكبر

.·.

أهى الثرى أم أعزى الورى لقد فاز هذا وهذا خسر
أأول يوم لعيد الربيع تجف الرياض ويذوى الزهر
ويذبل زهر القريض الثرى ويقفر روض القوافي الغرر
ليهدأ (عمان) فغواصه أصيب وأمسى رهين الحفر
فقد كان يعتاده دائباً بكوراً روءوحاً لنهب الدرر
يقول فيرخص در النحور ويغلي جمان بنات الفكر
يسوق القصار فيأبى العثار وكم من مطيل يمل عثر
قصار وحسب النهي أنها لها معجزات قصار السور
رحمت فقد كنت حلو اللسان جلي البيان صدوق الخبر
قليل التعجب جم الأناة حكيم الورود حكيم الصدر
شمائلك الغر هن الرياض روى عن شذاها نسيم السحر
لها مثل روح الدعاء استجيب فعافى وآوى وأغنى وسر
اذا ما وردت لها منهلا وردت نميراً لذيذ الخصر
وفكرك في خصبه ثروة لفكر الأديب اذا ما افتقر
وشعرك كالماء في صفوه على صفحتيه تراءي الصور
عيون القصائد مثل العيون وشعرك فيهن مثل الحور
وكم لك شكوى هوى أو أسى لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة في الهجير فكاد يدب اليك الشجر

وكم كنت تشعل فحم الدجى   بأنفاس صب طويل السهر
فياويح قلبك ماذا ألح   عليه من الداء حتى انفطر
أيخفق تحت الدجى وحده   لذكرى أليف سلا أو هجر

...

اذا قيل (صبرى) ذكرت الوليد   ومرت بنفسي ذكرى عمر
يزين تواضعه نفسه   كما زان حسن الملاح الخفر
زكي المشاعر عف الهوى   شهي الاحاديث حلو السمر
لقد كنت أغشاه في داره   وناديه فيها زها وازدهر
وأعرض شعري على مسمع   لطيف يحس نبوّ الوتر
على سمع باقعة حاضر   يميز القديم من المبتكر
فيصقل لفظي صقل الجمان   ويكسوه رقة أهل الحضر
يرقرق فيه عبير الجنان   فتستاف منه النهي والفكر
كذلك كان عليه السلام   اماماً لكل أديب شعر
فكنا الجداول نروي الظماء   ظماء العقول وكان النهر

...

زهدت على شهرة طبقت   وجاه أظل وفضل بهر
خلعت الشباب فلم تبكه   وساءك أنك لم تحتضر
وقد ذقت طعم الردى عندما   أصيب قطارك يوم السفر
فأقسمت انك ألفيته   لذيذ المذاقة اذ تحتضر
تمنيت ان لم تعد للحياة   ولكن أباها عليك القدر
وكم ساعة بين ساع الحياة   سقتك المرار بكاس الضجر

فرحت الى أختها شاكياً | أذاتك منها فكانت أمر
ففتشت اثناءها جاهداً | بعيني بصير بعيد النظر
فلم تر فيها على طولها | هنيهة صفو خلت من كدر
وما زلت تشكو الى ان أتت | كما تشتهي ساعة لم تذر
فلا صد تخشاه بعد الوصال | ولا ضعف تشكوه بعد الاشر
أريح فؤادك مما ضناه | ، صدرك مما عليه انكدر
تمنيتها خطوة للممات | تفرج عنك كروب الغير
وهاقد خطاها ونلت المنى | فهل في الممات بلوغ الوطر
صدقت ففي الموت نصر الابي | على الدهر ان هو يوما غدر

« * »

مللت النواء بدار الزوال | فماذا رأيت بدار المقر
أتحت التراب يضام الكريم | ، يشقى الحليم ويخفي القمر
ويهضم حق الاديب الاريب | ويطمس فضل النبيه الاغر
أتحت التراب تساق الشعوب | بسوط العبودة سوق البقر
ويعقد مؤتمر للسلام | فتخرج منه الى مؤتمر
فان كان ماعهدنا عندكم | فليس انا من شقاء مفر

« * »

خضم الحياة بعيد النجاة | فطوبى لراكبه ان عبر
فعد سالما غانما للتراب | كرأيك في الموت واهنأ بقر

فهرس الكتاب

فهرس المختارات

صحيفة

فهرس المراثى

مؤلفات الكاتب

بالفرنسية

١ — « الثورة المصرية » في مجلدين مصدر كلاهما بمقدمة من قلم مسيو اولار مؤرخ الثورة الفرنسية والاستاذ بجامعة السربون ، وقد نفد الجزء الاول منهما

٢ — « المسألة المصرية » كتاب يشتمل على النقط الاساسية في تاريخ مصر الحديث من وقت دخول الفرنساويين مصر لغاية ثورة ١٩ (يطلب من مكتبة المؤيد بشارع محمد علي ومن المكاتب الفرنسية بالقاهرة والاسكندرية)

بالعربية

١ — « تاريخ الحركة الاستقلالية في ايطاليا » محاضرة القيت في الجامعة المصرية على قسمين وهي تتناول البحث في الحركة الايطالية ورجالها مازيني وكافور وفكتور عما نويل وجاريبلدي وما اليها — مقدمة بقلم خليل مطران

٢ — « محمود سامي البارودي » بحث ادبي تاريخي في حياة المرحوم محمود باشا سامي البارودي وشعره ، — الثمن ٥ قروش

٣ — « اسماعيل صبري » حياته وشعره بحث على نسق البارودي الثمن ٥ قروش — وتوجد طبعة على ورق خاص ، ثمن النسخة ١٠ عشرة قروش